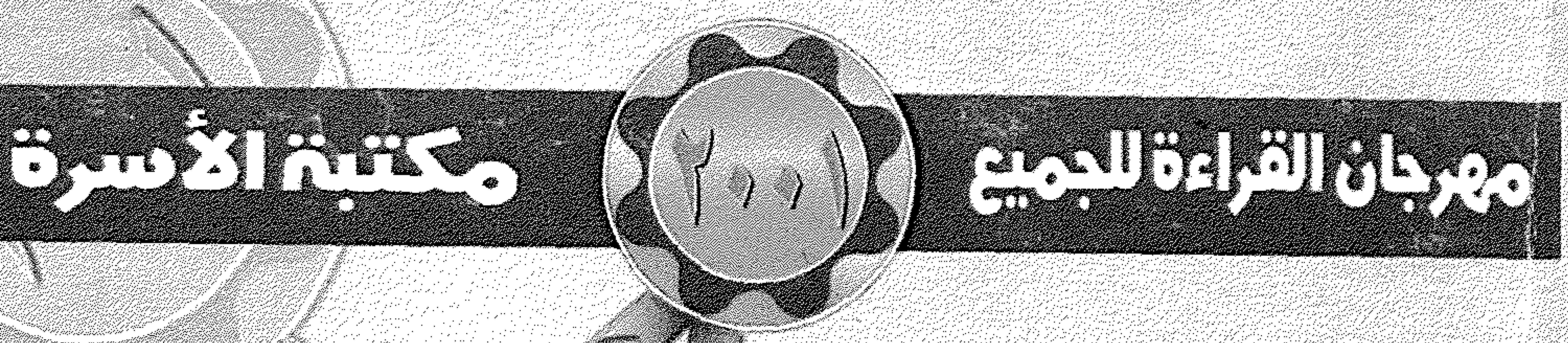


عبد الله بن المقفع

كليلة ودمنة

الروائع



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

إهـــــــداء2006

ورثة الكيميائي/ محمد فاروق الفران

الإسكندرية

عبدالله بن المقفع

كليلة ودمنة

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى : كليلة ودمنة ، القرن الرابع عشر
الميلادى من مخطوطات المكتبة الوطنية
فى باريس

كان العرب القدامى يتخذون من الحيوانات مادة لموضوعاتهم الأدبية، وقد أظهرت رسوم (قصير عمرة) كثير من الحيوانات التى صورت تصويرا واقعيا، لذلك لم يكن من المدهش أن نجد واحدا من المؤلفات العربية القديمة يتناول موضوع الحيوان؛ إنه كتاب الأساطير (كليلة ودمنة)، وهو كتاب يحوى الترجمة العربية لمجموعة من الحكايات الهندية عن الحيوان، تعزى إلى الحكيم البراهمانى «بيدبا الفيلسوف»، أما المترجم العبقرى فهو ابن المقفع (توفى ٧٥٠م).

وقد بقى لنا من المخطوطات العربية قليل من اللوحات والرسوم؛ لايمكن أن تعطينا صورة كاملة عما كان عليه التصوير الإسلامى والعربى، لكنها فقط تشير إلى القوى المبدعة العربية والاسلامية

محمود الهندى

عبد الله بن المقفع

كليلة ودمنـة

مختارات

اختيار وتقديم : فاروق مردم بك



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١
مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الروائع)

عبد الله بن المقفع

كليلة ودمنة

اختيار وتقديم : فاروق مردم بك

الغلاف

والإشراف الفني:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

عبد الله بن المقفع :

هذا الكتاب « كليلة ودمنة » من أجَلّ ما أبدعه الشرقيّون في السياسة والأخلاق ، ويتضمَّن أشهر ما أجْـرَوْه على ألسنة الحيوانات من قصص وأمثال . وقد تضافر في تأليفه بصورته التي نعرف ثلاثة من حكمائهم ، وحَظِي عند الأدباء وعامّة الناس حُظوة لم يبْلُغها إلاّ القليل من الكتب الموضوعة في العصر العبّاسى الأول ، فكثر نسْخُه ، وتفنّن الخطّاطون والمصوِّرون فى تزويقه ، ثم تُرجم إلى لغات عدّة ، وتأثّر به كتّابٌ من الشرق والغرب على السواء ، فهو بذلك مثلٌ نادر ، بل فريد ، للتفاعل بين الآداب العالميّة .

ويُجمع الباحثون على أن الكتاب هندي الأصل ، صنَّفه البراهما «وشنو» باللغة السنسكريتيّة في أواخر القرن الرابع الميلاديّ ، وأسماه «بنج تنترا» ، أي الأبواب الخمسة . ويُقال إنّ ملك الفرس «كسرى أنوشروان» (٥٣١ ـ ٥٧٩م) لما بلغه أمرُه أراد الاطّلاع عليه للاستعانة به في تدبير شؤون رعيّته ، فأمر بترجمته إلى اللغة الفهلويّة ـ وهي اللغة الفارسية القديمة ، واختار لهذه المهمة طبيبه « بَـرزَوَيْه » لما عُرف عنه من علم

ودهاء . إلاّ أنّ « برزويه » لم يكْتف بنقل « بنج تنترا » ، بل أضاف إليه حكايات هندية أخرى ، أخذ بعضها من كتاب «مهابارااتا» المشهور، وصَدَّر ترجمته بمقدّمة تتضمّن سيرته وقصّة رحلته إلى الهند . وفي مُنتصف القرن الثامن الميلادى ، نُقل الكتاب في العراق من الفهلوية إلى العربية ، وأُدرج فيه بابٌ جديد تحت عنوان « الفحص عن أمر دمنة » وأُلحقت به أربعةُ فصولٍ لم ترِدْ في النصّ الفارسى ، وكان ذلك على يد أديب عبقريٍّ يُعتبر بحقّ رائد النثر العربيّ ، وأوّل من وضع كتابًا عربيًا مكتملاً في السياسة ، هو « عبد الله بن المقفَّع » .

وُلد « ابن المقفع » سنة ٧٢٠ ميلاديّة في بلدة « جور » الفارسيّة (التي أطلق عليها فيما بعد اسم « فيروزاباد ») ، وفيها ترعرع إلى أن بلغ أشُدَّه ، فاصطحبه أبوه إلى « البصرة » حيث اعتنق الإسلام ، وقرأ على الشعراء والرواة واللغويّين المرموقين في عصره حتّى تمكّن من اللغة العربيّة وآدابها . ثم عمل كاتبًا للولاة الأمويّين في « كرمان » بإيران ، وبقي في خدمتهم إلى أن انتصر العباسيّون ، فالتحق بهم ، ولزم «عيسى بن علي» عمّ الخليفة « المنصور » . وكان « ابن المقفع » في أثناء ذلك يترجم ويؤلّف ، مشاركًا في الحركة العلميّة الفذّة التى ازدهرت في « البصرة » و «الكوفة» ؛ فمن ترجماته التي لا يرقَى إليها الشك : « كليلة ودمنة » وكتابان أو ثلاثة في سِيَر ملوك الفُرسِ ونُظُمهم وعاداتهم ، وله كذلك مؤلّفان في نصيحة الملوك هما : «الأدب الكبير» و «رسالة في الصحابة» .

ولكنّ قُرب « ابن المقفَّع » من بيت الخلافة ، وتعرُّضه لأمور المُلك في زمن احتدم فيه الصراع على السلطة ، أوْغَرا عليه صدور الحكّام ، فاتُّهِم بالزَّندَقَة وأُلقي القبض عليه في « البصرة » بأمرٍ من الخليفة سنة ٧٥٦ أو بعدها بقليل ، وكان والي تلك المدينة يكرهُه ، فعذَّبه عذابًا فظيعًا ، وقتله . وأغلب الظن أن إعدامه لم يكن لسبب ديني كما قيل ، بل لشك الخليفة في ولائه .

إن هذه المقتطفات من « كليلة ودمنة » لا تفي ابن المقفَّع كلّ حقّه إذ ليس فيها ما يشير إلى أسبقيته في التعريف بالحضارة الفارسية القديمة ولا إلى فكره السياسي المتميّز كما يظهر في رسالته « في الصحابة » ، إلاّ أنّها تكفي لبيان ما يدين له به النثر العربي في زمن نشأته الأولى . ونخص بالذكر لغة الكاتب الطيعة التي جمعت بن الدّقة والسلاسة ، ممهّدة للأسلوب الكتابي الذي وُصف بالسهل الممتنع ، وسطّر به كبار الناثرين العرب ، من الجاحظ إلى ابن خلدون ، مؤلفاتهم الخالدة .

فاروق مردم بك

باب عرض الكتاب

لعبدِ اللهِ بنِ المقفَّعِ معرِّبِ هذا الكتابِ

هذا كتابُ كَليلَةَ ودِمْنَةَ وهو ممَّا وضَعَتهُ علماءُ الهند مِنَ الأمثالِ والأحاديثِ التي أُلهِموا أن يُدخِلوا فيها أبلَغَ ما وَجَدوا مِنَ القَولِ في النَّحوِ الذي أرادوا ، ولم تَزَلِ العلماءُ من كلِّ أمَّةٍ ولسانٍ يَلتَمِسونَ أن يُعقَل[1] عنهم ويحتالونَ لذلك بصنُوفِ الحِيَلِ ويَبتَغونَ إخراجَ ما عندَهُمْ مِنَ العِلَلِ في إظهارِ ما لديهِمْ مِنَ العُلومِ والحِكَم، حتى كان من تلك العِلَلِ وضعُ هذا الكتابِ على أفواهِ البَهائِمِ والطَّيرِ فاجتمعَ لهم بذلك خلالٌ[2] . أما هم فوَجَدوا مُنْصَرَفًا[3] في القَولِ وشعابًا يأخُذونَ منها وُجوهًا يَسلُكونَ فيها . وأمَّا الكتابُ فَجَمَعَ حكمَةً ولَهْوًا فاختارَهُ الحُكَماءُ لِحكمَتِهِ والأغرارُ لِلَهْوِهِ . والمُتَعَلِّمُ مِنَ الأحداثِ ناشِطٌ في حِفظِ ما صارَ إليهِ من أمرٍ يُربَطُ في صدرِهِ ولا يدري ما هو بل عَرَفَ أنَّه قد

---

(١) يُعقل : يؤخذ ويفهم .

(٢) خلال : فضائل .

(٣) مُنصرَفًا : مذهبًا .

ظَفِرَ من ذلك بمكتوبٍ مَرقومٍ . وكانَ كالرجلِ الذي لمَّا استكمَلَ الرُّجوليَّةَ وَجَدَ أبويهِ قد كنَزَا له كُنوزًا وعقَدَا له عُقَدًا[٤] استَغنى بها عنِ الكَدحِ فيما يَعمَلُهُ من أمرِ مَعيشتِهِ . فأغناهُ ما أشرفَ[٥] عليه مِنَ الحِكمَةِ عنِ الحاجَةِ إلى غيرِها من وُجوهِ الأدَبِ .

فأوَّلُ ما ينبغي لِـمَنْ قَـرأَ هذا الكتابَ أن يَعرِفَ الوُجوهَ التي وُضِعَتْ له والرُّموزَ التي رُمِزَتْ فيه وإلى أيِّ غايَةٍ جَرى مُؤَلِّفُهُ فيه عندما نَسَبَهُ إلى البَهَائِمِ وأضافَهُ إلى غيرِ مُفصِحٍ[٦] وغيرِ ذلك مِنَ الأوضاعِ التي جعَلَها أمثالاً ، فإنَّ قارِئَهُ متى لم يَفعَلْ ذلك لم يَدْرِ ما أريدَ بتلك المعاني ولا أيَّ ثمرَةٍ يجتَني منها ولا أيَّ نتيجَةٍ تحصُلُ له من مُقَدِّماتِ ما تَضَمَّنَهُ هذا الكتابُ . وإنَّه إن كانت غايتُهُ منه استتمامَ قِراءَتِهِ والبُلوغَ إلى آخرِهِ دونَ تَفَهُّمِ ما يقرأُ منه لم يَعُدْ عليه شيءٌ يَرجِعُ إليه نَفْعُهُ .

---

(٤) عقدًا : مُلكاً .

(٥) أشرف : وصل .

(٦) غيرُ مُفصِحٍ : غير ناطق .

مثل الحمّالين والرجلِ الذي أصابَ كنزًا

ومَنِ استكثَرَ من جَمعِ الكُتُبِ وقِراءَةِ العلومِ من غيرِ إعمالِ الرَّويَّة فيما يَقرَأُهُ كانَ خَليقًا أن لا يُصيبَهُ إلاَّ ما أصابَ الرجلَ الذي زَعَمَتِ العلماءُ أنَّه اجتازَ ببعض المَفاوِزِ فظَهَرَ له مَوضِعُ آثارِ كَنزٍ . فَجَعَلَ يَحفِرُ ويَطلُبُ فوَقَعَ على شيءٍ من عَينٍ[7] ووَرِقٍ[8] فقالَ في نفسِهِ : إن أنا أخَذتُ في نَقلِ هذا المالِ قليلاً قليلاً طالَ عَلَيَّ وقَطَعَني الاشتغالُ بنقلِهِ وإحرازِهِ عنِ اللَّذَّةِ بما أصَبْتُ منه . ولكن سأستأجِرُ أقوامًا يَحمِلونَهُ إلى منزلي وأكونُ أنا آخِرَهُمْ . ولا يكونُ بَقِيَ ورائي شيءٌ يُشغَلُ فكري بنقلِهِ . وأكونُ قد استَظهَرْتُ[9] لنفسي في إراحَةِ بَدَني عنِ الكَدِّ بيَسيرِ أُجرَةٍ أُعطيها لهم .

---

(٧) عَين : نقود ذهبية .

(٨) وِرِق : نقود فضية .

(٩) استظهرتُ : استعنْتُ .

ثم جاء بالحمَّـالينَ فجَعَلَ يُحَمِّلُ كلَّ واحدٍ منهم ما يُطيقُ فينطلقُ به إلى منزلِهِ هو فيفوزُ به ، حتى إذا لم يبقَ مِنَ الكَنزِ شيءٌ انطلَقَ خَلفَهُمْ إلى منزلِهِ فلم يَجِدْ فيه مِنَ المالِ شيئًا لا كثيرًا ولا قليلاً . وإذا كلُّ واحدٍ مِنَ الحمَّـالينَ قد فازَ بما حَمَلَهُ لنفسه . ولم يكنْ للرجلِ من ذلك إلاَّ العَناءُ والتَّعَبُ لأنَّه لم يُفكِّرْ في آخِرِ أمرِهِ .

مثل طالبِ العلمِ والصّحيفةِ الصفراء

وكذلك مَنْ قَـرأَ هذا الكتابَ ولم يَفهَمْ ما فيه ولم يَعلَمْ غَـرَضَهُ ظاهِرًا وباطِنًا لم يَنتَفِعْ بما يَبدو له من خَطِّهِ ونَقشِهِ . كما لو أنَّ رجلاً قُدِّمَ له جَوزٌ صحيحٌ لم يَنتَفِعْ به إلاّ أن يَكسِـرَهُ ويَستَخرِجَ ما فيه . وكانَ أيضًا كالرجلِ الذي طَلَبَ عِلمَ الفَصيحِ من كلامِ الناسِ . فأتى صديقًا له مِنَ العلماءِ لَه عِلمٌ بالفَصاحَةِ فأعلَمَهُ حاجَتَهُ إلى عِلمِ الفَصيحِ . فَـرَسَمَ له صديقُهُ في صحيفَةٍ صَفراءَ فَصيحَ الكلامِ وتَصاريفَهُ ووُجوهَهُ . فانصرَفَ بها إلى منزِلِهِ فَجَعَلَ يُكثِرُ قراءَتَها ولا يقِفُ على معَانيها ولا يَعلَمُ تأويلَ ما فيها حتى استَظهَـرَهَا كلَّها ، فاعتَقَدَ أنَّه قد أحاطَ بعِلمِ ما فيها .

ثم إنَّه جَلَسَ ذات يومٍ في مَحفِلٍ من أهلِ العِلمِ والأدَبِ فأخَذَ في مُحاوَرَتِهِمْ فَجَـرَتْ له كلمَةٌ أخطأَ فيها . فقالَ له بعضُ الجماعَة : إنَّك قد أخطأتَ والوَجهُ غيرُ ما تَكَلَّمتَ به . فقالَ : كيفَ أُخطِيءُ وقد قَـرَأْتُ الصَّحيفَةَ الصَّفراءَ وهي في منزلي ؟ فكانت مقالَتُهُ هذه أوجَبَ للحُجَّةِ عليه وزادَهُ ذلك قُـربًا مِنَ الجَهلِ وبُعدًا مِنَ الأدَبِ .

مثل ربّ البيت والسارق

ثم إنَّ العاقِلَ إذا فَهِمَ هذا الكتابَ وبَلَغَ نهايَةَ عِلمِهِ فيه يَنبَغي له أن يَعمَلَ بما عَلِمَ منه لِيَنتَفِعَ به وَيجعَلَهُ مِثالاً لا يَحيدُ عنه . فإذا لم يَفعَلْ ذلك كانَ مَثَلُهُ كالرجلِ الذي زَعَموا أنَّ سارِقًا تَسَوَّرَ عليه[10] وهو نائِمٌ في منزِلِهِ ، فعَلمَ به فقالَ : واللهِ لأسكُتَنَّ حتى أنظُرَ ماذا يَصنَعُ ولا أذْعَرُهُ[11] ولا أُعلِمُهُ أني قد عَلِمتُ به ، فإذا بَلَغَ مُرادَهُ قُمتُ إليه فَنَغَّصتُ ذلك عليه . ثم إنَّه أمسَكَ عنه وَجَعَلَ السَّارِقُ يَتَرَدَّدُ وطالَ تَرَدُّدُهُ في جَمعِهِ ما يَجِدُهُ . فغَلَبَ الرجلَ النُّعاسُ فنامَ وفَرَغَ اللِّصُّ مِمَّا أرادَ وأمكَنَهُ الذَّهابُ . واستيقَظَ الرجلُ فَوَجَدَ اللِّصَّ قد أَخذَ المَتاعَ وفازَ بـه . فأقبَلَ على نفسِهِ يلومُها وعَرَفَ أنَّه لم يَنتَفِعْ بِعلمِهِ باللِّصِّ إذ لم يَستَعمِلْ في أمرِهِ ما يجبُ .

(. . .).

---

(١٠) تسوّر عليه : دخل عليه واثبًا من سور بيته .

(١١) أذعَرُهُ : أخيفـه .

مثل الإخـوةِ الثلاثة

وقـد يَنبَغي للنَّاظِـرِ في كتابِنا هـذا أن لا تكـونَ غايتُـهُ التَّصفُّحِ لِتَزاويقِهِ[١٢] ، بل يُشرِفُ على ما يَتَضَمَّنُ مِنَ الأمثالِ حتى يأتِيَ عليه إلى آخِرِه ، ويَقِفُ عند كلِّ مَثَلٍ وكلمَةٍ ، ويُعمِلُ فيها رَوِّيَتَهُ ، ويكونُ مِثل ثالثِ الإخوَةِ الثلاثَةِ الذينَ خَلَّفَ لهم أبوهُمُ المالَ الكثيرَ فَتنازَعوهُ بينهم . فأمَّا الاثنانِ الكبيرانِ فإنَّهما أسرَعا في إتلافِهِ وإنفاقِهِ في غيرِ وجهِهِ . وأمَّا الصَّغيرُ فإنَّه عندمَا نَظَـرَ ما صارَ إليه أخوَاهُ من إسرافِهِما وتَخَلِّيهِما منَ المالِ أقبَلَ على نفسِهِ يُشاوِرُها وقالَ : يا نَفسِ إنَّما المالُ يطلُبُهُ صاحِبُهُ ويجمعُهُ من كلِّ وجهٍ لبقاءِ حالِهِ وصَلاحِ معاشِهِ ودُنياهُ وشرفِ منزلتِهِ في أعيُنِ الناسِ ، واستِغنائِهِ عمَّـا في أيديهِم ، وصـرَفِهِ فى وجهِهِ من صِلَةِ الرَّحِمِ ، والإنفاقِ على الولَدِ والإفضالِ على الإخوانِ . فمَن كانَ له مالٌ ولا يُنفِقُهُ في حُقوقِهِ كانَ كالذي يُعَدُّ فقيراً وإن كانَ موسِـرًا . وإن هو أحسَنَ إمساكَهُ والقيامَ عليه لم يَعدَمِ الأمرَينِ جميعًا من دُنيا تَبقى عليه وحَمدٍ يُضافُ إليه . ومتى قَصَدَ إنفاقَهُ على غيرِ الوُجوهِ التي حُدَّتْ[١٣] لم يَلبَثْ

---

(١٢) تزاويقه : رسومه .

(١٣) حـدّت : رسمت وفرضت .

أن يُتلِفَهُ ويبقى على حَسرَةٍ وندامَةٍ . ولكنِ الرأيُ أن أُمسِكَ هذا المالَ، فإني أرجو أن يَنفَعَني الله به ويُغنِيَ أخَوَيَّ على يَدي ، فإنَّما هو مالُ أبي ومالُ أبيهِما . وإنَّ أولى الإنفاقِ على صِلَةِ الرَّحِمِ وإن بَعُدَتْ ، فكيف بأخَوَيَّ ! فأنفَذَ فأحضَرَهُما وشاطَرَهُما مالَهُ .

مثل الصيّادِ والصدَفة

وكذلك يجبُ على قارئ هذا الكتابِ أن يُديمَ النَّظَـرَ فيه من غيرِ ضَجَـرٍ ، ويَلتَمِسَ جواهِرَ معانيهِ ، ولا يَظُنَّ أنَّ نَتيجَتَهُ إنَّما هي الإخبارُ عن حيلَةِ بَهيمَتَينِ أو مُحاوَرَةِ سَبُعٍ لثورٍ ، فينصَرِفَ بذلك عنِ الغَـرَضِ المقصودِ ، ويكونَ مَثَلُهُ مَثَلَ الصَّـيَّادِ الذي كانَ في بعضِ الخُلُجِ[١٤] يَصيدُ فيه السَّمَكَ في زَورَقٍ . فَـرأى ذاتَ يومٍ في عَقيقِ[١٥] الماءِ صَدَفَةً تَتلألأُ حُسناً فتَوهَّمَها جوهَرًا له قيمَةٌ . وكان قَد ألقى شَبَكَتَهُ في البحرِ فاشتَمَلَتْ على سَمَكَةٍ كانت قوتَ يومِهِ فخَلَّاها وقَذَفَ نفسَهُ في الماء ليأخُذَ الصَّدَفَةَ . فلمَّـا أخـرَجَها وجَدَها فارِغَةً لا شيء فيها مـمَّـا ظَنَّ . فندِمَ على تَركِ ما في يدِهِ للطَّمَعِ وتأسَّفَ على ما فاتَهُ . فلمَّـا كانَ اليومُ الثاني تَنَحَّى عن ذلك المكانِ وألقى شبكتَهُ ، فأصابَ حوتًا صغيرًا ورأى أيضًا صَدَفَةً سَنِيَّةً[١٦] فلم يَلتَفِتْ إليها وساءَ ظَـنُّـهُ بها فتَـرَكَها واجتازَ بها بَعضُ الصَّـيَّادينَ فأخذَها فوجَدَ فيها دُرَّةً تُساوي أموالاً .

---

(١٤) الخُلُج : جمع خليج .

(١٥) عقيق : مسيل .

(١٦) سنيّة : كريمة .

وكذلك الجُهَّالُ على إغفالِ أمرِ التَّفَكُّرِ في هذا الكتابِ والاغترارِ به وتَركِ الوُقوفِ على أسرارِ معانيهِ والأخذِ بظاهِرِهِ دونَ الأخذِ بباطِنِه ، ومَن صَرَفَ هِمَّتَهُ إلى النَّظَرِ في أبوابِ الهَزلِ منه فهو كرجلٍ أصابَ أرضًا طَيِّبَةً حُرَّةً[17] وحَبًّا صَحيحًا فَزرَعَهَا وسَقاها حتى إذا قَرُبَ خيرُها تَشاغَلَ عنها بجَمعِ ما فيها مِنَ الزَّهرِ وقَطعِ الشَّوكِ ، فأهلَكَ بتَشاغُلِهِ ما كانَ أحسَنَ فائِدَةً وأجمَلَ عائِدَةً .

ويَنبَغي للنَّاظِرِ في هذا الكتابِ أن يَعلَمَ أنَّه يَنقَسِمُ إلى أربعَةِ أغراضٍ : أحَدُها ما قُصِدَ فيه إلى وضعِهِ على ألسِنَةِ البَهائِمِ غيرِ النَّاطِقَةِ من مُسارَعَةِ أهلِ الهَزلِ مِنَ الشُّبَّانِ إلى قِراءَتِهِ فتُستَمالُ به قلوبُهُمْ . لأنَّ هذا هو الغَرَضُ بالنَّوادِرِ من حِيَلِ الحيواناتِ . والثاني إظهارُ خيَالاتِ الحيواناتِ بصنُوفِ الأصباغِ والألوانِ ليكونَ أُنْسًا لقُلوبِ الملوكِ ويكونَ حِرصُهُمْ عليه أشَدَّ للنُزهَةِ في تلك الصُّورِ . والثالثُ أن يكونَ على هذه الصِّفَةِ فيَتَّخِذَهُ الملوكُ والسُّوقَةُ فيكثُرَ بذلك انتساخُهُ ولا يَبطُلَ فَيَخْلُقَ[18] على مُرورِ الأيامِ ، وليَنتفِعَ بذلك المُصَوِّرُ والنَّاسِخُ أبدًا . والغَرَضُ الرابعُ وهو الأقصى مخصوصٌ بالفَيلَسوفِ خاصَّةً .

---

(17) أرضًا حرّة : لا رمل فيها .

(18) فيَخْلُق : فيبلى .

باب الأسـد والثـور

مثل الشيخ وبنيه الثلاثة

قالَ دَبشَليمُ الملكُ لِبَيْدَبا الفَيلَسوفِ وهو رأسُ البَراهِمَةَ : اضرِبْ لي مَثَلاً لِـمُتَحابَّيْنِ يَقطَعُ بينهما الكَذوبُ المُحتالُ حتى يَحمِلَهُما على العَداوَةِ والبَغضاءِ .

قالَ بَيدبَا : إذا ابتُلِيَ المُتَحابّانِ بأن يَدخُلَ بينهما الكَذوبُ المُحتالُ لم يَلبثا أن يَتَقاطَعا ويَتَدابَرا[١٩] وآفَةُ المَوَدَّةِ النَّميمَةُ . ومن أمثال ذلك أنَّه كانَ بأرضِ دَسْتاوَنْدَ رجلٌ شيخٌ له ثلاثَةُ بَنِينَ . فلمَّا بَلَغوا أَشُدَّهُمْ أسرَفوا في مالِ أبيهِمْ ولم يكونوا احتَرَفوا حِرفَةً يكسِبونَ بها لأنفُسِهِمْ خيراً . فلامَهُمْ أبوهُمْ ووَعَظَهُمْ على سوءِ فِعلِهِمْ . وكانَ من قَولِهِ لهم : يا بَنِيَّ إنَّ صاحِبَ الدُّنيا يَطلُبُ ثلاثَةَ أمورٍ لن يُدرِكَهَا إلاَّ بأربَعَةِ أشياءَ . أمَّا الثَّلاثَةُ التي يَطلُبُ فالسَّعَةُ في الرِّزقِ ، والمَنزِلَةُ في الناسِ ، والزَّادُ للآخرَةِ . وأما الأربَعَةُ التي يَحتاجُ إليها في دَرَكِ[٢٠] هذه الثَّلاثَةِ فاكتسابُ

(١٩) يتدابرا : يولي بعضهما عن بعض .

(٢٠) درك : إدراك .

المالِ من أحسَنِ وجهٍ يَكونُ ، ثم حُسنُ القِيامِ على ما اكتَسَبَ منه ، ثم استِثمارُهُ ، ثم إنفاقُهُ فيما يُصلِحُ المعيشَةَ ويُرضِي الأهلَ والإخوانَ فَيَعودُ عليه نَفعُهُ في الآخرَةِ .

فمَنْ ضَيَّعَ شيئًا من هذه الأحوالِ لم يُدرِكْ ما أرادَ من حاجتِهِ . لأنَّه إن لم يَكتَسِبْ لم يكنْ له مالٌ يَعيشُ به . وإن هو كان ذا مالٍ واكتِسابٍ ثم لم يُحسِنِ القِيامَ عليه أوشَكَ المالُ أن يَفنى ويَبقى مُعدِمًا . وإن هو وَضَعَهُ ولم يَستَثمِرْهُ لم تَمنَعْهُ قِلَّةُ الإنفاقِ من سُرعَةِ الذَّهابِ . كالكُحلِ الذي لا يُؤخَذُ منه إلاَّ غُبارُ المِيْلِ ثم هو معَ ذلك سَريعٌ فَناؤُهُ . وإن هو أنفَقَهُ في غيرِ وَجهِهِ ووَضَعَهُ في غيرِ مَوضِعِهِ وأخطَأَ به مَواضِعَ استِحقاقِهِ صارَ بمنزِلَةِ الفَقيرِ الذى لا مالَ له . ثم لم يَمنَعْ ذلك أيضًا مالَهُ مِنَ التَّلَفِ بالحوادِثِ والعِلَلِ التي تَجري عليه كَمَحبِسِ الماءِ الذي لا تَزالُ المِياهُ تَنصَبُّ فيه ، فإن لم يكن له مُخرَجٌ ومَفاضٌ[21] ومُتَنَفَّسٌ يُخرُجُ منه الماءُ بقَدَرِ ما يَنبَغي خَرِبَ وسالَ ونَزَّ من نَواحٍ كثيرَةٍ وربَّما انبَثَقَ البَثقَ العَظيمَ فَذَهَبَ الماءُ ضَياعًا .

وإنَّ بَني الشَّيخِ اتَّعَظوا بقَولِ أبيهِمْ وأخَذوا به وعَلِموا أن فيه الخَيرَ وعَوَّلوا عليه ، فانطَلَقَ أكبَرُهُمْ نحو أرضٍ يُقالُ لها مَيُّونُ . فأتى في طَريقِهِ على مكانٍ فيه وَحلٌ كثيرٌ . وكان معه عَجَلَةٌ يَجُرُّها ثَوْرانِ يُقَالُ

---

(21) مفاض : مكان يفيض منه .

لأحدِهما شَتْـرَبَةُ وللآخَرِ بَنْدَبَةُ . فَوَحِلَ شَتْـربَةُ في ذلك المكان، فعالَجَهُ[٢٢] الرجلُ وأصحابُهُ حتى بَلَغَ منهُمُ الجَهدُ فلم يَقدِروا على إخراجِهِ . فَذَهَبَ الرجلُ وخَلَّفَ عندَهُ رجلاً يُشارِفُهُ[٢٣] لعلَّ الوَحلَ يَنشَفُ فَيَتْبَعَهُ به . فلمَّـا باتَ الرجلُ بذلك المكان تَبَـرَّمَ به واستوَحَشَ . فتَـرَكَ الثَّورَ والتَحَقَ بصاحبِهِ فأخبَـرَهُ بأنَّ الثَّورَ قد ماتَ . وقالَ له إنَّ الإنسانَ إذا انقَضَتْ مُدَّتُهُ وحانَتْ مَنِيَّتُهُ فهو وإن اجتَهَدَ في التَّوَقِّي مِنَ الأمورِ التي يَخافُ فيها على نفسِهِ الهَلاكَ لم يُغنِ ذلك عنه شيئًا . وربما عادَ اجتِهادُهُ في تَوَقِّيهِ وحَذَرِهِ وبالاً عليه .

(٢٢) فعالجه : حاول إخراجه .

(٢٣) يشارفه : يطلع عليه .

مثل الرجل الهارب من الذئب واللصوص

كالذى قيلَ إنَّ رجلاً سَلَكَ مَفازةً[٢٤] فيها خَوفٌ مِنَ السِّباعِ وكانَ الرجلُ خَبيرًا بوَعَثِ[٢٥] تلك الأرضِ وخَوفِها . فلمّا سارَ غيرَ بعيدٍ اعتَرَضَ له ذِئبٌ من أحَدِّ الذِّئابِ وأضراها . فلمَّـا رأى الرجلُ أنَّ الذِّئبَ قاصِدٌ نحوه خافَ منه ونَظَـرَ يمينًا وشمالاً ليَجِدَ مَوضِعًا يَتَحَـرَّزُ[٢٦] فيه مِنَ الذِّئبِ ، فلم يَـرَ إلا قَريَةً خَلفَ وادٍ فذَهَبَ مُسرِعًا نحو القَريَةِ . فلمَّـا أتى الوادي لم يَرَ عليه قَنطَـرَةً ورأى الذِّئبَ قد أدرَكَهُ فألقى نفسَهُ في الماءِ وهو لا يُحسِنُ السِّباحَةَ وكاد يَغرَقُ لولا أن بَصُـرَ به قَومٌ من أهلِ القريَةِ فَتَواقَعوا[٢٧] لإخراجِهِ ، فأخرَجوهُ وقد أشرَفَ على الهَلاكِ . فلمَّـا حَصَلَ الرجلُ عندَهُمْ وأمِنَ على نفسِهِ من غائِلَةِ الذِّئبِ رأى على عُدْوَةِ[٢٨] الوادي بيتًا مُفرَدًا فقالَ : أدخُلُ هذا البيتَ فأستَريحُ

---

(٢٤) مفازة : فلاة لا ماء فيها .

(٢٥) وَعَثٌ : وُعُورَةٌ .

(٢٦) يتحرّز : يتوقى .

(٢٧) تواقعوا : رموا بأنفسهم .

(٢٨) عدوة : جانب .

فيه . فلمّا دَخَلَهُ وَجَدَ جماعَةً من اللُّصوصِ قد قَطَعوا الطَّريقَ على رجلٍ مِنَ التُّجّارِ وهم يقتَسِمونَ مالَهُ ويُريدونَ قَتْلَهُ . فلمّا رأى الرجلُ ذلك خافَ على نفسِهِ ومَضى نحو القريَةِ فأسنَدَ ظَهرَهُ إلى حائِطٍ من حيطانِها لِيَستَريحَ ممّا حَلَّ به مِنَ الهَولِ والإعياءِ إذ سَقَطَ عليه الحائِطُ فماتَ .

قالَ الرجلُ : صَدَقتَ قد بَلَغَني هذا الحَديثُ . وأمّا الثَّورُ فإنَّه خَلَصَ من مكانِهِ وانبَعَثَ[29] فلم يَزَلْ في مَرجٍ مُخصِبٍ كثيرِ الماءِ والكَلأِ ، فلمّا سَمِنَ وأمِنَ جَعَلَ يَخُورُ ويَرفَعُ صَوتَهُ بالخُوارِ . وكانَ قريبًا منه أجَمَةٌ[30] فيها أسَدٌ عَظيمٌ وهو مِلكُ تلك النّاحِيَةِ ومعه سِباعٌ كثيرَةٌ وذئابٌ وبناتُ آوى وثعالِبُ وفُهودٌ ونُمورٌ . وكانَ هذا الأسَدُ مُنفَرِدًا برأيِهِ دونَ أخذِ برأيِ أحدٍ من أصحابِهِ . فلمّا سَمِعَ خُوارَ الثَّورِ ولم يكن رأى ثَورًا قَطُّ ولا سَمِعَ خُوارَهُ خامَرَهُ[31] منه هَيبَةٌ وخَشيَةٌ وكَرِهَ أن يَشعُرَ بذلك جُندُهُ . فكانَ مُقيمًا مكانَهُ لا يَبرَحُ ولا يَنشَطُ بل يُؤتى بِرِزقِهِ كلَّ يوم على يَدِ جُندِهِ. وكانَ فيمَن معه مِنَ السِّباعِ ابنا آوى يُقالُ لأحدِهِما كَليلَةُ وللآخَرِ دِمنَةُ ، وكانا ذَوَيْ دَهاءٍ وعِلمٍ وأدَبٍ .

فقالَ دِمنَةُ يومًا لأخيهِ كَليلَةَ : يا أخي ما شأنُ الأسَدِ مُقيمًا مكانَهُ لا

---

(٢٩) انبعث : سار مسرعًا .

(٣٠) أجمة : شجر كثير ملتف .

(٣١) خامره : داخله .

يَبرَحُ ولا يَنشَطُ خِلافًا لعادَتِهِ ؟ فقالَ له كَليلَةُ : ما شأنُكَ أنتَ والمسألَةَ عن هذا ؟ نحن على بابِ ملكِنا آخِذَينِ بما أحَبَّ وتارِكَينِ ما يَكرَهُ ولسنا من أهلِ المرتَبَةِ التي يَتَناوَلُ أهلُها كلامَ الملوكِ والنَّظَرَ في أمورِهِمْ . فأمسِكْ عن هذا واعلَمْ أنَّـه مَن تَكَلَّفَ مِنَ القَولِ والفِعلِ ما ليسَ من شكلِهِ أصابَهُ ما أصابَ القِردَ مِنَ النَّجَّارِ . قالَ دِمْنَةُ : وكيفَ كانَ ذلك؟ .

مثـل القرد والنجار

قال كَلِيلَةُ : زَعَموا أنَّ قِردًا رأى نَجّارًا يَشُقُّ خَشَبةً وهو راكِبٌ عليها ، وكلَّما شَقَّ منها ذِراعًا أدخلَ فيها وتَدًا ، فوَقَفَ يَنظُرُ إليه وقد أعجَبُه ذلك . ثم إنَّ النَّجّار ذَهَب لبعضِ شأنِهِ فَقامَ القِرْدُ وتَكَلَّفَ ما ليس من شأنِهِ فَرَكِبَ الخَشَبَةَ وجَعَلَ وجهَهُ قِبَلَ الوِتَدِ [٣٢] وظَهرَهُ قِبَلَ طَرَفِ الخشَبةِ فتَدلَّى ذَنَبُهُ فى الشَّقِّ ونَزَعَ الوِتَدَ فلزِمَ الشَّقُّ عليه فكادَ يُغشى عليه مِنَ الألَمِ . ثم إنَّ النَّجّار وافاهُ فأصابَهُ [٣٣] على تلك الحالَة فأقبلَ عليه يَضرِبُهُ. فكانَ ما لَقِيَ مِنَ النَّجّار مِنَ الضَّربِ أشَدَّ مِمَّا أصابَهُ مِنَ الخشَبةِ .

قالَ دِمْنَةُ : قد سَمعتُ ما ذَكَرتَ . وليسَ كلُّ مَنْ يدنو مِنَ الملوكِ يَقدِرُ على صُحْبَتِهِمْ ويَفوزُ بقُربِهِم . ولكن اعلَمْ أنَّ كلَّ مَنْ يَدنو منهم ليس يَدنو منهم لبطِنِه ، فإنَّ البطنَ يُحشى بكلِّ شيءٍ ، وإنَّما يَدنو منهم

---

(٣٢) قبل الوتد : إلى جهته .

(٣٣) أصابه : وجده.

لِيَسُرَّ الصَّديقَ ويَكبِت[٣٤] العَدُوَّ . وإنَّ مِنَ الناسِ مَن لا مُروءةَ له وهُمُ الذين يَفرَحونَ بالقليلِ ويَرضَونَ بالدُّون كالكَلب الذى يُصيبُ عَظمًا يابسًا فَيَفرَحُ به . وأمَّا أهلُ الفَضل والمُروءَة فلا يُقنِعُهُمْ القليلُ ولا يَرضَونَ به دونَ أن تَسمُوَ بهم نُفوسُهُمْ إلى ما هم أهل له وهو أيضاً لهم أهلٌ . كالأسَدِ الذى يَفتَرِسُ الأرنَبَ فإذا رأى البعير تَرَكَهَا وطَلَبَ البَعيرَ . ألا ترى أنَّ الكلبَ يُبَصبِصُ بذنبِهِ حتى تَرمىَ له الكسرَةَ مِنَ الخُبزِ فَيَفرَحُ بها وتُقنِعُهُ منك ، وأنَّ الفيلَ المُعتَرفَ بفضلِهِ وقُوَّتِهِ إذا قُدِّمَ إليه عَلَفُهُ لا يَعتَلِفُهُ حتى يُمسَحَ وجهُهُ ويَتَمَلَّقَ له؟ فَمَنْ عاشَ ذا مالٍ وكانَ ذا فَضلٍ وإفضالٍ على نفسِهِ وأهلِهِ وإخوانِهِ غيرَ خامِلِ المنزلَة فهو وإن قَلَّ عُمرُهُ طويلُ العمرِ . ومَن كانَ فى عَيشِهِ ضيقٌ وقِلَّةٌ وإمساكٌ[٣٥] على نفسِهِ وذَويهِ وكانَ خامِلَ المنزلَةِ فالمَقبورُ أحيا منه . ومَن عَمِلَ لبطنِهِ وشهواتِهِ وقَنِعَ وتَرَكَ ما سِوى ذلك عُدَّ مِنَ البَهائِمِ .

(. . .)

ثم إنَّ دِمنَةَ انطلَقَ حتى دَخَلَ على الأسَدِ فَعَفَّرَ وجهَهُ بين يديهِ وسلَّمَ عليه . فقالَ الأسَدُ لبعضِ جُلَسائِهِ : مَن هذا ؟ فقالَ : هذا دِمنَةُ بنُ سلَيطٍ . قالَ : قد كنتُ أعرِفُ أباهُ . ثم سألَهُ : أين تكونُ ؟ قالَ : لم

(٣٤) يكبت : يذل ويقهر .

(٣٥) إمساك : بخل وشح .

أزَلْ ببابِ الملِكِ مُرابِطًا داعياً له بالنَّصرِ ودَوامِ البقاءِ ، رَجاءَ أن يَحضُرَ أمرٌ فأُعينَ الملِك فيه بنفسى ورأيى . فإنَّ أبوابَ الملوكِ تكثُرُ فيها الأمورُ التى ربما يُحتاجُ فيها إلى الذى لا يُؤْبَهُ له . وليسَ أحدٌ يَصغُرُ أمرُهُ إلاّ وقد يكونُ بعضُ الغَناءِ[٣٦] والمنافِعِ على قَدَرِهِ ، حتى العُودُ المُلقى فى الأرض ربما نَفَعَ فيأخُذُهُ الرَّجلُ فَيَحُكُّ به أُذُنَهُ فيكونُ عُدَّتَهُ عند الحاجَةِ إليه .

فلمَّا سَمِعَ الأسَدُ قَولَ دِمنَةَ أعجَبَهُ وطَمِعَ أن يكونَ عندَهُ نصيحةٌ ورأىٌ . فأقبَلَ على مَن حَضَرَ فقالَ : إنَّ الرجلَ ذا النُّبلِ والمُروءَةِ يكونُ خامِلَ الذِّكرِ مُنخَفِضَ المنزِلَةِ فتأبى منزِلَتُهُ إلاَّ أن تَشُبَّ وترتَفِعَ كالشُّعلَةِ مِنَ النَّارِ يَضرِبُها .

ثم إنَّ دِمَنَةَ استأنَسَ بالأسَدِ وخَلا به فقالَ له يومًا : رأيتُ الملِكَ قد أقامَ فى مكانٍ واحدٍ لا يَبرَحُ منه خِلافًا لمألوفِهِ وهو ، أعظَمَهُ اللهُ ، منيعُ الجانِبِ نافِذُ الأمرِ آمِنُ السَّاحَةِ . فرأيتُ أن أتطاوَلَ عليه بالاستفهامِ على وجهِ النَّصيحَةِ ، فإنَّ الأمورَ الخفيَّةَ لا يُظهِرُها إلاَّ البحثُ عنها ، فإذا أُظهِرَتْ أُجيلَت[٣٧] الفكرَةُ فيها .

فبينما هما فى هذا الحديثِ إذ خَارَ شَتْرَبَةُ خُوارًا شديدًا فَهيَّجَ الأسَدَ وكَرِهَ أن يُخبِرَ دِمنَةَ بما نالَهُ . وعَلِمَ دمنَةُ أنَّ ذلك الصَّوتَ قد أدخَلَ على

---

(٣٦) الغناء : النفع والاكتفاء .

(٣٧) أجيلت : أديرت .

الأَسَدِ ريبَةً وهَيبَةً ، فسأَلَهُ : هل راب المِلِكَ [٣٨] سماعُ هذا الصَّوتِ ؟ قالَ : لم يَرِبنى شىء سوى ذلك وهو الذى حَبَسَنَى هذه المُدَّةَ فى مكانى. وقد صَحَّ عندى من طريقِ القِياسِ أنَّ جُثَّةَ صاحِبِ هذا الصَّوتِ المُنكِرَ الذى لم أسمعَهُ قَطُّ عظيمَةٌ لأنَّ صوتَهُ تابعٌ لبدنِهِ . فإن يكن كذلك فليسَ لنا معه قرارٌ ولا مُقامٌ .

قالَ دِمَنَةُ : ليسَ المِلِكَ بحقيقٍ أن يَدَعَ مكانَهُ لأجلِ صوتٍ .

فقال قالت العلماءُ ليسَ من كلِّ الأصواتِ تَجِبُ الهَيبَةُ .

قالَ الأسَدُ : وما مَثَلُ ذلك؟ .

(٣٨) راب : الريبة الشك .

مثـل الثعلب والطبل

قالَ دِمنَةُ : زَعَموا أنَّ ثعلَبًا أتى أجَمَةً فيها طَبلٌ مُعَلَّقٌ على شَجَرَةٍ وكُلَّما هَبَّت الرِّيحُ على قُضبان تلك الشَّجَرَةِ حَرَّكَتها فَضَرَبَتِ الطَّبلَ فسُمِع له صوتٌ عظيمٌ باهِرٌ . فَتَوجَّهَ الثعلَبُ نحوه لأجلِ ما سَمِعَ من عَظيمِ صَوتِهِ. فلمَّ أتاهُ وَجَدَهُ ضخمًا فأيقَنَ فى نَفْسِهِ بكثرَةِ الشَّحمِ واللَّحمِ . فعالَجَهُ حتى شَقَّهُ ، فلمَّا رآهُ أجوَفَ لا شىء فيه قالَ : لا أدرى لعلَّ أفسَلَ[39] الأشياءِ أجهَرُها صوتًا وأعظَمُها جُثَّةً .

وإنَّما ضَرَبتُ لك هذا المَثَلَ لتعلَم أنَّ هذا الصَّوتَ الذى راعَنا لو وَصَلْنا إليه لوجدناهُ أيسَرَ ممَّا فى أنْفُسِنا . فإن شاء المَلِكُ بَعَثَنى وأقامَ بمكانِهِ حتى آتيَهُ ببيَانِ هذا الصَّوتِ . فوافَقَ الأسَدُ قَولَهُ فأذِنَ له فى الذَّهاب نحو الصَّوتِ .

فانطَلَقَ دِمنَةُ إلى المكانِ الذى فيه شَتْرَبَةُ . فلمَّا فَصَلَ[40] دِمنَةُ من عندِ الأسَدِ فكَّرَ الأسَدُ فى أمره ونَدِمَ على إرسال دِمنَةَ حيثُ أرسلَهُ وقالَ فى

(٣٩) أفسَل : أضعف

(٤٠) فصل : خرج .

نفسِهِ : ما أَصَبْتُ فى ائتمانى دِمنَةَ وإطلاعِهِ على سرّى وقد كانَ ببابى مطروحًا . فإنَّ الرجلَ الذى يَحضُرُ بابَ الملِكِ إذا كانَ قد أُطيلَتْ جَفوَتُهُ من غيرِ جُرمٍ كانَ منه أو كانَ مبَغيًا عليه[٤١] عند سلطانِهِ . أو كانَ عندَهُ مَعروفًا بالشَّرهِ والحِرْصِ . أو كانَ قد أصابَهُ ضَرٌّ وضيقٌ فلم يَنعَشهُ [٤٢]. أو كانَ قد اجتَرَمَ جُرمًا فهو يَخافُ العُقوبَةَ منه . أو كانَ يرجو شيئًا يَضُرُّ الملِكَ وله منه نَفعٌ . أو يَخافُ فى شىءٍ مماَّ يَنفَعُهُ ضَرًّا . أو كانَ لعدُوِّ الملِكِ سِلمًا ولِسلمِهِ حَربًا . أو كانَ قد حِيلَ بينه وبين ما فى يديه مِنَ السُّلطانِ . أو باعَدَهُ . أو طَرَدَهُ . فليسَ السُّلطانُ بحقيقٍ أن يَعجَلَ فى الاسترسال إلى هؤلاء والثِّقَةِ بهم والائتمان لهم .

وإنَّ دِمنَةَ داهيَةٌ أريبٌ وقد كان ببابى مَطروحًا مجفوًا . ولعلَّهُ قد احتَمَلَ علىَّ بذلك ضِغنًا [٤٣]، ولعلَّ ذلك يَحمِلُهُ على خيانَتى وإعانَةِ عَدُوِّى ونَقيصتى عندَهُ ، ولعلَّهُ أن يُصادِفَ صاحِبَ الصَّوتِ أقوى سلطانًا منّى فيَرغَبَ به عنّى ويَميلَ معه علىَّ . ولقد كانَ الواجِبُ أن أهجُمَ على صاحِبِ هذا الصَّوت بنفسى . ولم يَزَلِ الأسَدُ يُحدِّثُ نفسَهُ بأمثال ذلك حتى جَعَلَ يَمشى وينظُرُ إلى الطَّريقِ التى سارَ فيها دِمنَةُ .

---

(٤١) مبغياً عليه : أى مظلوماً

(٤٢) لم يَنْعشَه : أى لم يجبره بعد فقره .

(٤٣) ضِغنًا : أى حقدًا .

فلم يَمش غيرَ قليلٍ حتى بَصُرَ بدِمنَةَ مُقبلاً نحوه فطابَتْ نفسُهُ بذلك ورَجَعَ إلى مكانِهِ .

ودَخَلَ دِمنَةُ عليه فقالَ له الأسَدُ : ماذا صَنَعتَ وماذا رأيتَ؟

قالَ : رأيتُ ثورًا وهو صاحِبُ الخُوارِ والصَّوتِ الذى سَمِعتَهُ . قالَ : فما قُوَّتُهُ ؟ قال : لا شَوكَةَ [٤٤] له وقد دَنَوتُ منه وحاورتُهُ مُحاوَرَةَ الأكْفاء فلم يَستطِعْ لى شيئاً .

قالَ الأسَدُ : لا يَغُرَّنَّكَ ذلك منه ولا يَصغُرَنَّ عندك أمرُهُ ، فإنَّ الرِّيحَ الشَّديدَةَ لا تَعْبَأُ بضعيفِ الحَشيشِ لكنَّها تَحْطِمُ طوالَ النَّخلِ وعَظيمَ الشَّجَرِ وتَقْلَعُ الدَّوْحَةَ [٤٥] العاتِيَةَ من مَوْضِعِها .

قالَ دِمنَةُ : لا تَهابَنَّ أيُّها المِلكُ منه شيئًا ولا يَكبُرَنَّ عليك أمرُهُ فأنا على ضعفى آتيكَ به فيكونُ لك عبداً سامِعًا مُطيعاً .

قالَ الأسَدُ : دونَكَ [٤٦] ما بدا لك . وقد تَعَلَّقَ أمَلُهُ به .

فانطَلَقَ دِمنَةُ إلى الثَّورِ فقالَ له غَيرَ هائبٍ ولا مُكتَرِثٍ : إنَّ الأسَدَ أرسلَنى إليكَ لآتِيَهُ بك وأمرَنى إن أنت عَجِلتَ إليه أن أُؤمِّنَكَ على ما

---

(٤٤) لا شوكة : أى لا قوة له ولا شجاعة .

(٤٥) الدَّوحة : الشجرة العظيمة .

(٤٦) دونك : أى أفعل .

سَلَفَ من ذَنبِكَ فى التَّأَخُّرِ عنه وتَركِك لقاءهُ . وإن أنت تأخَّرتَ وأحجَمتَ (٤٧) أن أُعَجِّلَ الرَّجعَةَ إليه فأُخبِرَهُ . قالَ له شَتْرَبَةُ : ومَن هذا الأسَدُ الذى أرسلَكَ إلىَّ وأين هو ؟ وما حالُهُ ؟

قالَ دِمنَةُ : هو مِلكُ السِّباعِ وهذه الأرضُ التى نحن عليها له وهو بمكان كذا ومعه جُندٌ كثيرٌ من جِنسِهِ .

فرُعِبَ شَتْرَبَةُ من ذِكرِ الأسَدِ والسِّباعِ وقالَ : إن أنت جَعَلتَ لى الأمانَ على نفسى أقبَلتُ معكَ إليه . فأعطاهُ دِمنَةُ مِنَ الأمانِ ما وَثِقَ به ثم أقبَلَ والثَّورُ معه حتى دَخَلا على الأسَدِ . فأحسن الأسَدُ إلى الثَّورِ وقَرَّبَهُ وقالَ له :

متى قَدِمتَ هذه البلادَ وما أقدمَكَهَا (٤٨) ؟ فقصَّ شَتْرَبَةُ عليه قِصَّتَهُ . فقالَ له الأسَدُ : اصحَبنى والزَمْنى فإنى مُكرِمُكَ ومُحسنٌ إليكَ . فَدعَا له الثَّورُ وأثنى عليه وانصرَفَ وقد أُعجِبَ به الأسَدُ إعجابًا شديداً لِما ظَهَرَ له من عَقلِهِ وأدَبِهِ . ثم إنَّه قَرَّبَهُ وأكرَمَهُ وأنسَ به وائتَمَنَهُ على أسرارِه وشاوَرَهُ فى أمرِهِ ولَم تَزِدْهُ الأيامُ إلاَّ عُجبًا به ورغبةً فيه وتقريبًا له حتى صارَ أخَصَّ أصحابِهِ عندَهُ منزلةً .

---

(٤٧) أحجمت : كففت عنه .

(٤٨) أقدمكها : أى ما الذى جعلك تأتيها .

فلمَّا رأى دِمنَةُ أنَّ الثَّورَ قدِ اختَصَّ [٤٩] بالأسَدِ دونَهُ ودونَ أصحابِهِ وأنَّه قد صار صاحِبَ رأيِهِ وخَلَواتِهِ ولَهوِهِ حَسَدَهُ حَسَدًا عظيماً وبَلَغَ منه غَيظُهُ كلَّ مبَلغٍ . فشَكا ذلك إلى أخيهِ كَليلَةَ وقالَ له : ألا تَعجَبُ يا أخى من عَجزِ رأيى وصُنعى بنفسى ونَظَرى فيما يَنفَعُ الأسَدِ وأغفلتُ نَفعَ نفسى حتى جَلَبت إلى الأسدَ ثوراً غَلَبَنى على منزلَتى !

(. . .)

قالَ كَليلَةُ : أخبِرنى عن رأيِكَ وما تُريدُ أن تَعزِمَ عليه فى ذلك .

قالَ دمنَةُ : أمَّا أنا فلستُ اليومَ أرجو أن تَزدادَ منزلَتى عند الأسَدِ فوقَ ما كانت عليه . ولكن ألتَمِسُ أن أعود إلى ما كانت حالى عليه . فإنَّ أموراً ثلاثَةً العاقِلُ جَديرٌ بالنَّظَرِ فيها والاحتيالِ لها بجُهدِهِ . منها النَّظَرُ فيما مَضى مِنَ الضَّرِّ والنَّفعِ ، أن يَحتَرِسَ من الضَّرِّ الذى أصابَهُ فيما سَلَفَ لِئَلاَّ يَعودَ إلى ذلك الضَّرِّ ، ويَلتَمِسَ النَّفع الذى مَضى ويَحتالَ لِمُعاوَدَتِهِ . ومنها النَّظَرُ فيما هو مُقيمٌ فيه من المنافِعِ والمَضارِّ . والاستيثاق [٥٠] مِمَّا يَنفَعُ ، والهَرَبُ مِمَّا يَضُرُّ . ومنها النَّظَرُ فى مُستَقبَلِ ما يَرجو من قِبَلِ النَّفعِ وما يَخافُ من قِبلِ الضَّرِّ لِتَستَتِمَّ ما يَرجو ويَتَوَقَّى ما يَخافُ بجُهدِهِ .

وإنى لَمَّا نَظَرتُ فى الأمر الذى به أرجو أن تَعودَ منزلَتى وما غُلِبتُ عليه

---

(٤٩) اختصّ : انفرد به .

(٥٠) الاستيثاق : التثبت .

ممَّا كنتُ فيه لم أجِدْ حِيلَةً ولا وَجهًا إلاَّ الاحتِيالَ لأكلِ العُشبِ هذا حتى أُفرِّقَ بينه وبين الحياةِ ، فإنَّه إن فارَقَ الأسَدَ عادَتْ لى منزلَتى . ولعلَّ ذلك يكونُ خيراً للأسَدِ . فإنَّ إفراطَهُ فى تَقريب الثَّورِ خلَيقٌ أن يَشينَهُ ويَضُـرَّهُ فى أمرِهِ .

قالَ كلَيلَةُ : ما أرى على الأسَدِ فى رأيِهِ فى الثَّورِ ومكانِهِ منه ومنزلَتِه عندَهُ شيئاً ولا شراً .

قالَ دِمنَةُ : إنَّما يُؤتى السُّلطانُ ويَفسُدُ أمرُهُ من قِبَلِ سِتَّةِ أشياءَ : الحِرمانِ والفتنَةِ والهوى والفَظاظَةِ والزَّمانِ والخُرقِ . فأمَّا الحِرمَانُ فأن يُحرَمَ من صالحى الأعوانِ والنُّصحاءِ والسَّاسَةِ من أهلِ الرأى والنَّجدَةِ[٥١] والأمانَة، وأن يكونَ مَنْ حَولَهُ فاسِدًا مانِعًا من وُصولِ أمورِ المُلك إليه ، وأن يَحرِمَ هو أهلَ النَّصيحَةِ والصَّلاحِ من عنايتِهِ والتفاتِهِ إليهم . وأمَّا الفتنَةُ فهى تُحارِبُ رعيَّتَهُ ووقوعُ الخِلافِ والنِّزاعِ بينهم . وأمَّا الهوى فالإغرامُ بالنِّساءِ والحديثِ واللَّهوِ والشَّرابِ والصَّيدِ وما أشبَهَ ذلك . وأمَّا الفَظاظَةُ فهى إفراطُ الشِّدَّةِ حتى يَجمَحَ اللِّسانُ بالشَّتمِ واليَدُ بالبَطشِ فى غيرِ موَضِعِهما . وأمَّا الزَّمانُ فهو ما يُصيبُ الناسَ مِنَ السِّنينَ[٥٢] مِنَ المَوَتانِ[٥٣] ونَقصِ الثَّمراتِ والغَزَواتِ وأشباهِ ذلك . وأمَّا الخُرقُ فإعمال

---

(٥١) النجدة : الشدة والبأس .

(٥٢) السنين : : أى التى فيها شدة وضيق .

(٥٣) الموتان : موت يقع فى الماشية .

الشِّدَّةِ فى موَضِعِ اللّينِ ، واللّينِ فى مَوضِعِ الشِّدَّةِ . وإنَّ الأسَدَ قد أُغرِمَ بالثَّورِ إغرامًا شديداً هو الذى ذَكَرتُ لكَ أنَّه خَليقٌ أنْ يَشينَهُ ويَضُرَّهُ فى أمرِهِ .

قالَ كلَيلَةُ : وكيفَ تُطيقُ الثَّورَ وهو أشَدُّ منكَ وأكرَمُ على الأسَدِ منكَ وأكثرُ أعوانًا ؟

قَالَ دِمنَةُ : لا تَنْظُرْ إلى صِغَرى وضُعفى ، فإنَّ الأمورَ ليست بالضُّعفِ ولا القُوَّةِ ولا الصِّغَرِ ولا الكبَرِ فى الجُثَّةِ . فَرُبَّ صغيرٍ ضَعيفٍ قد بَلَغَ بحِيلَتِهِ ودَهائِهِ ورأيِهِ ما يَعجزُ عنه كثيرٌ مِنَ الأقوياء . أوَلَمْ يبلُغكَ أنَّ غُرابًا ضَعيفًا احتالَ لأسوَدَ [٥٤] حتى قتَلَهُ ؟

قالَ كلَيلَةُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟ .

---

(٥٤) الأسود : حية عظيمة .

مثـل الغراب والأسود

قالَ دِمنةُ : زَعَموا أنَّ غُرابًا كانَ له وَكرٌ فى شَجَرَةٍ على جَبَلٍ ، وكانَ قريباً منه جُحرُ ثُعبانٍ أسوَدَ . فكانَ الغُرابُ إذا أفرخَ عَمَدَ الأسوَدُ إلى فِراخِهِ فَأَكَلَهَا فَبلَغَ ذلك[٥٥] مِنَ الغرابِ فأحزَنَهُ . فشَكا ذلك إلى صدَيقٍ لُه من بَناتِ آوى وقالَ له : أُريدُ مُشاوَرَتَكَ فى أمرٍ قد عَزَمتُ عليه . قالَ : وما هو ؟ قَالَ الغُرابُ : قد عَزَمتُ أن أذهبَ إلى الأسوَدِ إذا نامَ فأنقُرَ عَينَيهِ فأفقَأَهُما لعلِّى أستَريحُ منه . قالَ ابنُ آوى : بِئسَ الحِيلَةُ التى احتَلتَ ! فالتَمِسْ أمرًا تُصيبُ فيه بُغيَتَكَ مِنَ الأسَودِ من غيرِ أن تُغرِّرَ بنفسِكَ[٥٦] وتُخاطِرَ بها . وإيَّاكَ أن يكونَ مَثَلُكَ مَثَلَ العُلجُومِ[٥٧] الذى أرادَ قَتلَ السرَّطانِ فَقَتَلَ نفسَهُ . قالَ الغُرابُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟ .

---

(٥٥) بلغ ذلك : اشتدّ الأمر عليه

(٥٦) تغرِّر بنفسك : تعرضها للهلكة .

(٥٧) العُلجوم : طائر أبيض .

مثــل العُلْجُوم والسرطان

قالَ ابنُ آوى : زَعَموا أنَّ عُلجُومًا عَشَّشَ فى أجَمَةٍ كثيرَةِ السَّمَكِ . فكانَ يختلفُ إلى ما فيها مِنَ السَّمَكِ فيأكُلُ منه . فعاشَ بها ما عاش ثم هَرِمَ فلم يستَطِعْ صَيدًا فأصابَهُ جوعٌ وجَهدٌ شديدٌ . فجَلَس حزينًا يَلتَمِسُ الحِيلَةَ فى أمرِهِ . فمَرَّ به سَرطانٌ فرأى حالَتَهُ وما هو عليه مِنَ الكآبَةِ والحُزنِ . فدنَا منه وقالَ له : ما لى أراك أيُّها الطَّائِرُ هكذا حزينًا كئيباً ؟

قالَ العُلجومُ : وكيفَ لا أحزَنُ وقد كنت أعيشُ من صيدِ ما ههُنا مِنَ السَّمَكِ ، وإنى رأيتُ اليومَ صَيَّادَينِ قد مَرَّا بهذا المكان فقالَ أحدُهُما لصاحِبِهِ : إنَّ هُهنا سَمَكاً كثيراً أفَلا نَصيدُهُ أَوَّلاً ؟ فقال الآخرُ : إنى قد رأيتُ فى مكان كَذَا سَمَكاً أكثَرَ من هذا السَّمَكِ ، فلنَبدأ بذلك فإذا فَرَغنا منه جئنا إلى هذا فأفنيناهُ . وقد عَلِمتُ أنَّهُما إذا فَرَغا ممَّا ثَمَّ[٥٨] انتهيَا إلى هذه الأجَمَةِ فاصطادا ما فيها . فإذا كانَ ذلك فهو هلاكى ونَفادُ مُدَّتى .

---

(٥٨) ثَمَّ : أى من الذى هناك .

فانطَلَقَ السَّرطانُ إلى جَماعَةِ السَّمَكِ فأخبرَهُنَّ بذلك .

فأقبَلْنَ على العُلجُومِ فاستَشَرنَهُ وقُلنَ له : إنَّا أتيناكَ لتُشيرَ علينا ، فإنَّ ذا العَقلِ لا يَدعُ مُشاوَرَةَ عَدُوِّه ، وبقاؤُكَ ببقائِنا . قالَ العُلجومُ : أمَّا مُكابَرَةُ الصَّيَّادينِ فلا طاقَةَ لى بها . ولا أعلَمُ حِيلَةً إلاَّ المَصيرَ إلى غديرٍ قريبٍ من هنا فيه سَمَكٌ ومياهٌ كثيرَةٌ وقَصَبٌ . فإن استَطَعْتُنَّ الانتِقالَ إليه كانَ فيه صَلاحُكُنَّ وخصبُكُنَّ [٥٩] .

فقُلنَ له : ما يَمُنُّ علينا بذلك غيرُكَ . فجعَلَ العُجلوُم يَحمِلُ فى كلِّ يومٍ سَمَكَتَينِ حتى ينتهى بهما إلى بعضِ التِّلالِ فيأكُلُهُما . حتى إذا كانَ ذاتَ يومٍ جاء لأخذِ السَّمَكَتَينِ فجاءهُ السَّرطانُ فقالَ له : إنى أيضاً قد أشفَقتُ [٦٠] من مكانى هذا واستَوحَشتُ منه ، فاذهَبْ بى إلى ذلك الغَديرِ . فقالَ له : حُبًا وكرامَةً . واحتَمَلَهُ وطارَ به ، حتى إذا دَنا مِنَ التَّلِّ الذى كانَ يأكُلُ السَّمَكَ فيه نَظَرَ السَّرطَانُ فرأى عِظامَ السَّمَكِ مجموعَةً هنَاكَ فعَلِم أنَّ العُلجومَ هو صاحِبُها وأنَّه يُريدُ به مثلَ ذلك . فقالَ فى نفسِهِ : إذا لَقِىَ الرجلُ عَدُوَّهُ فى المَواطِنِ التى يَعلَمُ أنَّهُ فيها هالِكٌ سَواءٌ قاتَلَ أم لم يُقاتِلْ كانَ حَقيقًا أن يُقاتِل عن نفسه كَرَمًا وحِفاظًا ، ولا يُمكِّنُه من نفسه حتى يَستَفرِغَ ما عندَهُ مِنَ الحِيلَةِفى قِتالِهِ . لأنَّه قد بَنى

(٥٩) الخصب : رفاهة العيش .

(٦٠) أشفقت : خفت .

أمرَهُ على التَّلَفِ فلعلَّ خَلاصَهُ فى ذلك القتال ، والهَلاكُ واقعٌ به كيفَ كانَ . فلم يَزَلْ يَحتالُ على العُلجومِ حتى تَمَكَّنَ من عُنُقِه فأهوى بكَلبَتَيه(٦١) عليها فعَصَرهَا فمات وتخلَّص السَّرَطانُ إلى جماعَةِ السَّمَكِ فأخبرَهُنَّ بذلك .

وإنَّما ضَرَبتُ لك هذا المَثَلَ لتَعَلَمَ أنَّ بعضَ الحِيلَةِ مَهلكَةٌ للمُحتال . ولكنِّى أدُلُّكَ على أمرٍ إن أنت قَدَرتَ عليه كانَ فيه هَلاكُ الأسودِ من غير أن تُهلِكَ به نفسَكَ وتكونُ فيه سلامَتُكَ . قالَ الغُرابُ : وما ذاك ؟ قالَ ابنُ آوى : تَنطَلِقُ فَتَتَبَصَّرُ فى طَيَرانكَ لعلَّكَ أن تَظفَرَ بشىءٍ من حُلِىِّ النِّساء فتَخطَفَهُ ولا تَزالُ طائرًا واقِعًا بحيث لا تَفوتُ العُيونَ . فإذا رأيتَ النَّاسَ قد تَبِعوكَ تأتى جُحْر الأسوَدِ فتَرمى بالحُلِىِّ عندَهُ . فإذا رأى الناسُ ذلك أخذَوا حُلِيَّهُمْ وأراحوكَ مِنَ الأسوَدِ .

فانطَلَقَ الغُرابُ مُحَلِّقًا فى السَّماء ، فوجَدَ امرأةً من بناتِ العُظَماءِ على شاطىء نهرٍ تَغتَسِلُ وقد وضعَتْ ثيابَها وحُليَّها ناحيَةً ، فانقَضَّ واختَطَفَ من حُليِّها عقداً وطارَ به . فتَبِعَهُ الناسُ ، ولم يَزَلْ طائرًا واقِعاً بحيثُ يَراهُ كلُّ أحدٍ حتى انتَهى إلى جُحْرِ الأسوَدِ فألقى العِقدَ عليه والناسُ يَنظُرُونَ إليه . فلمَّا أتوا أخذوا العِقد وقتَلُوا الأسوَدَ .

---

(٦١) بكَلْبَتَيه : بظفريه .

وإنَّما ضَرَبتُ لك هذا المَثَلَ لتَعلَمَ أنَّ الحيلَةَ تُجزِيءُ[٦٢] ما لا تُجزِيءُ القُوَّةُ . قالَ كَليلَةُ : إنَّ الثَّورَ لو لم يَجتَمِعْ معَ شِدَّتِهِ رأيُهُ لكانَ كما تقولُ . ولكنَّ له مع شِدَّتِهِ وقوَّتِهِ حُسنَ الرأيِ والعَقلَ فماذا تَستَطيعُ له ؟

قالَ دِمنَةُ : إنَّ الثَّورَ لكما ذَكَرتَ فى قوَّتِهِ ورأيِهِ ولكنَّهُ مقِرٌّ لى بالفَضلِ وأنا خَليقٌ أن أصرَعَهُ كما صَرَعَتِ الأرنَبُ الأسَدَ . .

قالَ كَليلَةُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟

---

(٦٢) تجزيء : تغنى .

مثل الأرنب والأسد

قالَ دِمنَةُ : زَعَموا أنَّ أسدًا كانَ فى أرضٍ كثيرةَ المِياه والعُشبِ . وكانَ فى تلك الأرضِ مِنَ الوحوشِ فى سَعَة المياهِ والمَرعى شىءٌ كثيرٌ. إلا أنَّه لم يكن يَنفَعُها ذلك لخَوفِها مِنَ الأسَدِ . فاجتَمَعَتْ وأتَتْ إلى الأسَدِ فقالت له : إنَّك لتُصيبُ منَّا الدَّابَّةَ بَعدَ الجُهْدِ والتَّعَبِ . وقد رأينا لكَ رأيًا فيه صَلاحٌ لكَ وأمنٌ لنا . فإن أنت أمَّنتنَا ولم تُخفِنا فلك علينا فى كلِّ يومٍ دابَّةٌ نُرسِلُ بها إليك فى وقتِ غدائِكَ . فَرَضِيَ الأسَدُ بذلك وصالَحَ الوحشَ عليه ووَفَينَ له به .

ثم إنَّ أرنبًا أصابتَها القُرعَةُ وصارَتْ غداءَ الأسَدِ . فقالت للوحوشِ : إن أنتُنَّ رَفَقْتنَّ بى فيما لا يَضُرُّكُنَّ رَجَوتُ أن أُريحَكُنَّ مِنَ الأسَدِ. فقالتِ الوحوشُ : وما الذى تُكلِّفينَنا مِنَ الأمورِ ؟ قالت : تأْمُرنَ الذى يَنطَلِقُ بى إلى الأسَدِ أن يُمهِلَنى ريثما أُبطِىءُ عليه بعضَ الإبطاء . فقُلنَ لها : ذلك لك .

فانطَلَقَتِ الأرنَبُ مُتَباطِئةً حتى جاوَزَتِ الوقت الذى كانَ يَتَغَدَّى فيه الأسَدُ . ثم تَقَدَّمَتْ إليه وحدَها رويداً وقد جاعَ ، فغَضِبَ وقامَ من مَكانِهِ نحوها فقالَ لها : من أين أقبَلتِ ؟ قالت : أنا رسولُ الوحوشِ إليكَ وقد بَعَثَنى ومعى أرنَبٌ لك فتَبِعَنى أسَدٌ فى بعضِ تلك الطريق فأخذَها منّى وقالَ : أنا أولى بهذه الأرض وما فيها منَ الوحش . فقلتُ له : إنَّ هذا غداءُ الملكِ أرسَلَتْ به الوحوشُ إليه فلا تَغصِبنَّهُ . فَسبَّكَ وشَتَمَكَ ، فأقبَلتُ مُسرِعَةً لأُخبِرَكَ .

فقالَ الأسَدُ : انطَلِقى معى فأرينى مَوضِعَ هذا الأسَدِ . فانطَلَقَتِ الأرنَبُ إلى جُبٍّ [٦٣] فيه ماءٌ غامِرٌ [٦٤] صافٍ . فاطَّلَعَتْ فيه وقالت : هذا المكانُ . فاطَّلَعَ الأسَدُ فرأى ظِلَّهُ وظِلَّ الأرنَبِ فى الماءِ ، فلم يَشُكَّ فى قَولها ووَثَبَ على الأسَدِ ليُقاتِلَهُ فغَرِقَ فى الجُبِّ . فانقَلَبَتِ [٦٥] الأرنَبُ إلى الوحوشِ فأعلَمَتهُنَّ صَنيعَها بالأسَدِ .

قالَ كَليلَةُ : إن قَدَرتَ على هَلاكِ الثَّورِ بشىءٍ ليسَ فيه مَضَرَّةٌ للأسَدِ فشأنَكَ . فإنَّ الثَّورَ قد أضَرَّ بى وبك وبغيرِنا مِنَ الجُندِ . وإن أنت لم تَقدِرْ على ذلك إلاَّ بهلاكِ الأسَدِ ، فلا تُقدِمْ عليه فإنَّه غَدرٌ منّى ومنك .

---

(٦٣) جُبّ : بئر .

(٦٤) غامر : كثير .

(٦٥) انقلبت : رجعت .

ثم إنَّ دِمنَةَ تَرَكَ الدُّخولَ على الأَسَدِ أيامًا كثيرَةً . ثم أتاهُ على خُلوَةٍ منه ، فقالَ له الأسَدُ : ما حَبَسَكَ عنّى ؟ منذُ زمانٍ لم أرَكَ . ألا لخَيرٍ كانَ انقطاعُكَ . قالَ دِمنَةُ : ليكن خيرًا أيُّها الملِكُ . قال الأسَدُ : وهل حَدَثَ أمرٌ ؟ قالَ دِمنَةُ : حَدَثَ ما لم يكن الملِكُ يُريدُهُ ولا أحدٌ من جُندِهِ . قالَ : وما ذاك ؟ قال : كلامٌ فَظيعٌ . قالَ : أخبِرْنى به .

قالَ دِمنَةُ : إنَّ كلَّ كلامٍ يَكرَهُهُ سامِعُهُ لا يَجسُرُ عليه قائلِهُ وإنْ كانَ ناصِحًا مُشفِقًا إلاَّ إذا كان المَقولُ له عاقِلاً ، فإن اتَّفَقَ ذلك حَمَلَ القَولَ على مَحمِلِ المَحبَّةِ وعَلِمَ ما فيه مِنَ النَّصيحَةِ لأنَّ ما كانَ فيه من نَفعٍ فهو له .

وإنَّكَ أيُّها الملكُ لَذو فَضيلَةٍ ورأيُكَ يدُلُّكَ على أنَّه يوجِعُنى أن أقولَ ما تَكرَهُ . وإنى واثقٌ بك أنَّك تَعرِفُ نُصحى وإيثارى إيَّاك على نفسى . وإنَّه ليعرِضُ(٦٦) لى أنَّك غيرُ مُصَدِّقى فيما أُخبِرُكَ به . ولكنّى إذا تَذَكَّرتُ وتَفَكَّرتُ أنَّ نُفوسَنا مَعاشِرَ الوحوشِ مُتَعَلِّقَةٌ بك لم أجِدْ بُدًا من أداءِ النُّصحِ الذى يَلزَمُنى وإن أنت لم تَسألنى أو خِفتُ أن لا تَقبَلَهُ منّى . فإنَّه يُقالُ مَنْ كَتَمَ السُّلطانَ نَصيحَتَهُ والأطِبَّاءَ مَرَضَهُ والإخوانَ رأيَهُ فقد خانَ نفسَهُ .

قالَ الأسَدُ : فما ذاك ؟ قالَ دِمنَةُ : حَدَّثَنى الأمينُ الصَّدوقُ عندى أنَّ

---

(٦٦) يعرض : يظهر.

شَتْرَبَةَ خَلا برؤوس جُندِكَ وقالَ لهم : إنى قد خَبَرتُ الأسَدَ وبَلَوتُ[٦٧] رأيَهُ ومَكيدَتَهُ وقوّتَهُ ، فاستَبانَ لى أنَّ ذلك يَؤُولُ[٦٨] منه إلى ضُعفٍ وعجزٍ وسيكونُ لى وله شأنٌ مِنَ الشُّؤُونِ .

فلمّا بَلَغَنى ذلك عَلِمتُ أنَّ شَتْرَبَةَ خوّانٌ غدّارٌ ، وأنّك أكرَمْتَهُ الكَرامَةَ كلَّها وجعلتَهُ نَظيرَ نفسكَ فهو يَظُنُّ أنّه مثلُكَ وأنَّك متى زُلتَ عن مكانِكَ كانَ له مُلكُكَ ولا يَدَعُ جُهداً إلاّ بَلَغَهُ فيك . وقد كانَ يُقالُ : إذا عَرَفَ المِلكُ من أحدِ رعيَّتِه أنَّه قد ساواهُ فى المنزلَةِ والحال فليصرَعَهُ . فإن هو لم يَفعَلْ به ذلك كانَ هو المَصروعَ . وشَتْرَبَةُ أعلَمُ بالأمور وأبلَغُ فيها .

والعاقِلُ هو الذى يحتالُ للأمر قَبل تَمامِهِ ووقوعِهِ . فإنَّك لا تأمَنُ أن يكونَ وأن لا تَستَدرِكَهُ . فلأنَّه يُقالُ : الرجالُ ثلاثَةٌ حازِمٌ وأحزَمُ منه وعاجِزٌ . فالحازِمُ مَن إذا نَزَلَ به الأمرُ لم يَدهَشْ له ولم يَذهَبْ قلبُهُ شَعاعًا[٦٩] ولم تَعى به[٧٠] حِيلَتُهُ ومكيدتُهُ التى يَرجو بها المَخرَجَ منه . وأحزَمُ من هذا المِقدامُ ذو العُدَّةِ الذى يَعرِفُ الابتِلاءَ قبلَ وقوعِهِ فيُعظِمُهُ إعظامًا ويحتالُ له حِيلَةً حتى كأنَّه قد لَزِمَهُ فيَحسِمُ الدَّاءَ قبلَ أن يُبتَلى به ويَدفَعُ الأمرَ قَبلَ وقوعِهِ . وأما العاجِزُ فهو فى تَرَدُّدٍ وتَمَنٍّ وتَوانٍ حتى يَهلِكَ . ومن أمثالِ ذلك مَثَلَ السَّمَكاتِ الثَّلاثِ . قالَ الأسَدُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟ .

---

(٦٧) بلوتِ : جربت .

(٦٨) يؤول : يرجع .

(٦٩) شعاعاً : متفرقاً

(٧٠) تعى : تعجز .

مثل السمكات الثلاث

قالَ دِمْنَةُ : زَعَموا أنَّ غَديرًا كانَ فيه ثلاثٌ مِنَ السَّمَكِ : كَيِّسة[71] وأكيَسُ منها وعاجِزَةٌ . وكانَ ذلك الغَديرُ بنَجوَةٍ مِنَ الأرضِ لا يكادُ يَقرَبُهُ أحدٌ . وبِقُرْبِهِ نهرٌ جارٍ . فاتَّفَقَ أنَّه اجتازَ بذلك النَّهرِ صَيَّادانِ فأبصرَا الغَديرَ فَتواعَدا أن يَرجِعا إليه بِشِباكِهما فيَصيدا ما فيه مِنَ السَّمَكِ. فسَمِعَتِ السَّمَكاتُ قَولَهُما . فأمَّا أكيَسُهُنَّ فلمَّا سَمعَتْ قَولَهُما ارتابَتْ بهما وتَخَوَّفَتْ منهما فلم تُعَرِّجْ[72] على شيءٍ حتى خَرَجَتْ مِنَ المكانِ الذى يَدخُلُ فيه الماءُ مِنَ النَّهرِ إلى الغَديرِ فَنَجَتْ بنفسها . وأمَّا الكَيِّسَةُ الأخرى فإنَّها مَكَثَتْ مكانَها وتَهاوَنَتْ فى الأمر حتى جاء الصَّيَّادان. فلمَّا رأَتْهُما وعَرَفَتْ ما يُريدانِ ذَهَبَتْ لتَخْرُجَ من حيثُ يَدخُلُ الماءُ فإذا بهما قد سَدَّا ذلك المكانَ فحينَئذٍ قالت : فرَّطتُ[73] وهذه عاقِبَةُ التَّفريطِ فكيفَ الحِيلَةُ على هذه الحالِ ؟ وقلَّما تَنجَحُ حيلَةُ العَجَلَةِ

---

(٧١) كيِّسة : حسنة التأنى .

(٧٢) لم تعرج : لم تقف .

(٧٣) فرّطت : قصرت .

والإرهاقِ(٧٤). غيرَ أنَّ العاقِلَ لا يَقنَطُ من منَافِعِ الرأى ولا ييأسُ على حالٍ ولا يَدَعُ الرأىَ والجَهدَ . ثم إنَّها تَماوَتَتْ فطفَتْ على وجه الماءِ مُنقلِبَةً على ظَهْرِها تارَةً وتارَةً على بطنِها . فأخذَها الصَّيَّادانِ وظَنَّاها مَيتَةً فوضَعاها على الأرض بين النَّهر والغَديرِ فَوَثَبَتْ إلى النَّهرِ فنَجَتْ . وأمَّا العاجِزَةُ فلم تَزَلْ فى إقبالٍ وإدبارٍ حتى صِيدَتْ .

قالَ الأسَدُ : قد فهِمتُ ذلك ولا أظُنُّ الثَّور يَغُشُّنى ولا يَرجو لى الغَوائِلَ ، وكيف يَفعَلُ ذلك ولم يرَ منّى سوءًا قَطُّ ولم أدَعْ خيرًا إلاَّ فَعَلتُهُ معه ولا أُمنِيَّةً إلاَّ بَلَّغتُهُ إيَّاها !

قالَ دِمنَةُ : أيُّها المَلِكُ إنَّه لم يَحمِلهُ على ذلك إلاَّ ما ذَكَرتَهُ من إكرامك له وتَبليغكَ إيَّاهُ كلَّ منزلَةٍ خَلا منزِلتك وإنَّه مُتطَلِّعٌ إليها . فإنَّ اللَّئيمَ لا يَزالُ نافعًا ناصحًا حتى يُرفَعَ إلى المنزلَة التى ليسَ لها بأهلٍ . فإذا بَلَغَها اشرَأبَّتْ (٧٥) نفسُهُ إلى ما فَوقَها ولا سيَّما أهلُ الخيانَةِ والفُجورِ . فإنَّ اللئيمَ الفاجِرَ لا يَخدُمُ السُّلطانَ ولا ينصَحُ له إلاّ من فَرَقٍ (٧٦) أو حاجةٍ، فإذا استَغنى وذَهَبَت الهَيبَةُ والحاجَةُ عادَ إلى جَوهَرِه. كَذَنَبِ الكَلْبِ الذى يُربَطُ ليَستَقيمَ فلا يَزالُ مُستَويًا ما دامَ مَربوطاً فإذا حُلَّ انحنَى وتَعوَّجَ كما كانَ .

---

(٧٤) الإرهاق : التأخر .

(٧٥) اشرأبت : ارتفعت .

(٧٦) فَرَق : خوف .

واعلَمْ أيُّها المِلكُ أنَّه مَن لم يَقبَلْ من نُصحَائِه ما يثْقُلُ عليه ممَّا يَنصَحونَ له لم يَحمَدْ غبَّ [٧٧] رأيِه . كالمريضِ الذى يَدَعُ ما يَصِفُ له الطَّبيبُ ويَعمِدُ لِما تَشتَهيه نفسُهُ . وحُقَّ على مُؤازِرِ السُّلطانِ أن يُبالغَ فى التَّحضيضِ [٧٨] له على ما يَزيدُ به سُلطانَهُ قوَّةً ويَزينهُ والكَفَّ عمَّا يَضُرُّهُ ويَشينُهُ . وخيرُ الإخوانِ والأعوانِ أقَلُّهُمْ مُداهَنَةً [٧٩] فى النَّصيحَةِ . وخيرُ الأعمالِ أحمَدُها عاقِبَةً . وخيرُ النِّساء الموافقَةُ لبَعلِهَا . وخيرُ الثَّناءِ ما كانَ على أفواهِ الأخيار . وأفضَلُ الملوكِ من لا يُخالِطُهُ بَطَرٌ [٨٠] ولا يَستَكبِرُ عن قَبولِ النَّصيحَةِ . وخير الأخلاقِ أعوَنُها على الوَرَع .

وقد قيلَ : لو أنَّ امرأً تَوَسَّدَ النَّارَ وافتَرَشَ الحيَّات كانَ أحَقَّ أن يَهنَأهُ النومُ ممن يُحسُّ من صاحبه بعداوَةٍ يُريدُهُ بها ويَطمَئِنُّ إليه . وأعجَزُ الملوكِ آخَذُهُمْ بالهُوَيناءِ وأقلُّهُمْ نَظَرًا فى مستقبَلِ الأمور وأشبَهُهُمْ بالفيل الهائج الذى لا يَلتَفِتُ إلى شىء . فإن أحزنَهُ أمرٌ تَهاوَنَ [٨١] به و إن أضاعَ الأمورَ حَمَل ذلك على قُرنائِه .

قالَ الأسَدُ : لقد أغلَظتَ فى القَولِ وقولُ النَّاصِحِ مَقبولٌ محمولٌ . و إن كانَ شَتْرَبَةُ مُعادياً لى كما تقولُ فإنَّه لا يستَطيعُ أن يَضُرَّنى ولا أن يَفُتَّ

---

(٧٧) غِبّ : عاقبة .

(٧٨) التحضيض : الحث .

(٧٩) مُداهنة : غشاً وتدليساً .

(٨٠) بطر : طغيان بالنعمة .

(٨١) تهاون به : استحقره واستهزأ به .

فى ساعدى [٨٢]، وكيفَ يَقدِرُ على ذلك وهو آكل عُشبٍ وأنا آكِلُ لحمٍ ؟ وإنَّما هو لى طَعامٌ وليس علىَّ منه مَخافَةٌ . ثم ليس إلى الغَدرِ به سبيلٌ بعد الأمان الذى جَعَلتُهُ له وبعد إكرامى له وثَنائى عليه . وإن غيَّرتُ ما كانَ منّى وبدَّلتُه فقد سَفَّهتُ رأيى وجَهَّلتُ نفسى وغَدَرتُ بذمَّتى ونَقَضتُ [٨٣] عهدى .

قالَ دِمنَةُ : لا يَغُرَّنَّكَ قولُكَ هو لى طعامٌ وليسَ علىَّ منه مَخافَةٌ . فإنَّ شَتْربَةَ إن لم يَستَطِعكَ بنفسِهِ احتالَ لك من قِبَلِ غيْرِ . ويُقالُ إن استَضافَكَ ضَيفٌ ساعَةً من نهارٍ وأنت لا تَعرِفُ أخلاقَهُ فلا تَأمَنهُ على نفسك ولا تَأمَنْ أن يُصيبَكَ منه أو بسبَبِهِ ما أصاب القَملَةَ مِنَ البُرغوثِ .

قالَ الأسَدُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟

---

(٨٢) يفتّ فى ساعدى : يضعفنى .

(٨٣) نَقَضتُ : أبطلته .

مثل القَمْلَةِ والبُرغوث

قالَ دِمنةُ : زَعَموا أنَّ قَملَةً لَزِمَتْ فراشَ رجلٍ مِنَ الأغنياءِ دَهرًا فكانت تُصيبُ من دَمِهِ وهو نائِمٌ لا يَشعُرُ وتَدِبُّ دَبيباً رَفيقًا ، فمَكَثَتْ كذلك حيناً حتى استضَافَها ليلَةً مِنَ الليالى بُرغوثٌ . فقالت له : بِتِ الليلَةَ عندنَا فى دَمٍ طَيِّبٍ وفراشٍ لَيِّنٍ . فأقامَ البُرغوثُ عندَها حتى إذا أوَى الرجلُ إلى فراشِهِ وَثَبَ عليه البُرغوثُ فلَدَغَهُ لَدغَةً أيقَظَتْه وأطارَتِ النومَ عنه ، فقامَ الرجلُ وأمَرَ أن يُفَتَّشَ فراشُهُ فنُظِرَ فلم يُرَ إلاَّ القَملَةُ فأُخِذَتْ فقُصِعَتْ[84] وفَرَّ البُرغوث .

وإنَّما ضَرَبتُ لك هذا المَثَلَ لتَعَلَمَ أنَّ صاحِبَ الشَّرِّ لا يَسلَمُ من شَرِّهِ أحدٌ . وإن هو ضَعُفَ عن ذلك جاء الشَّرُّ بسببِهِ . وإن كنتَ لا تَخافُ من شَتْرَبَةَ فَخَفْ غيرَهُ من جُندِكَ الذينَ قد حَرَّشَهُمْ عليك[85] وحَمَلَهُمْ على عداوَتِكَ .

---

(٨٤) قُصعت : أى قتلت بالظفر .

(٨٥) حرشهم عليك : أغراهم

فَوَقَعَ فى نفس الأسَدِ كلامُ دِمنَةَ . فقالَ : فما الذى تَرَى إذن وبماذا تُشيرُ ؟ قالَ دِمنَةُ : إنَّ الضِّرسَ المأكولَ لا يَزالُ صاحِبُهُ منه فى ألَمٍ وأذًى حتى يَقلَعَهُ . والطعامَ الذى قد عَفِنَ فى البطنِ الراحَةُ فى قَذفِهِ . والعَدُوَّ المُخيفَ دواؤُهُ قتلُهُ . قالَ الأسَدُ : لقد تَركتَني أكرَهُ مُجاوَرَةَ شَترَبَةَ إيّايَ . وأنا مُرسِلٌ إليه وذاكِرٌ له ما وَقَعَ في نفسى منه . ثم آمُرُهُ باللَّحاقِ حيثُ أحَبَّ .

فَكَرِهَ دِمنَةُ ذلك وعَلِمَ أنَّ الأسَدَ متى كَلَّمَ شَترَبَةَ فى ذلك وسَمِعَ منه جوابًا عَرَفَ باطِلَ ما أتى هو به واطَّلَعَ على غَدرِهِ وكَذِبِهِ ولم يَخفَ عليه أمرُهُ . فقالَ للأسدَ : أمَّا إرسالُكَ إلى شَترَبَةَ فلا أراهُ لك رأيًا ولا حَزمًا . فلينظرِ الملكُ في ذلك فإنَّه لا يَزالُ لك في نفسكَ الخيارُ ما دامَ لا يَعلَمُ أنَّ أمرَهُ قد وَصَلَ إليك . فإنَّه متى عَلِمَ ذلك خفتُ أن يُعاجِلَ المَلِكَ بالمُكابَرَةِ . وهو إن قاتَلَكَ قاتَلَكَ مُستَعِدًا وإن فارَقَكَ فارَقَكَ فراقًا يَليكَ[٨٦] منه النَّقصُ ويَلزَمُكَ منه العارُ . مَعَ أنَّ ذَوي الرَّأيِ مِنَ المُلوكِ لا يُعلِنونَ عُقوبَةَ مَنْ لم يُعلَنْ ذَنبُهُ . ولكنَّ لِكُلِّ ذَنبٍ عِندَهُم عُقوبَةً . فَلِذَنبِ العَلانِيَةِ عُقوبَةُ العَلانِيَةِ . ولِذَنبِ السِّرِّ عُقوبَةُ السِّرِّ.

قالَ الأسَدُ : إنَّ المَلِكَ إذا عاقَبَ أحدًا عن ظِنَّةٍ[٨٧] ظَنَّها من غيرِ تَيَقُّنٍ لجُرمِهِ فنفسَهُ عاقَبَ وإياها ظَلَمَ وكانَ ناقِصَ البَصيرَةِ .

---

(٨٦) يليك : يلحقك .

(٨٧) ظِنّة : تهمة .

قالَ دِمنَةُ : أمّا إذا كانَ هذا رأيَ المَلِكِ فلا يَدخُلَنَّ عليك شَتْـرَبَةُ إلاَّ وأنت مُستَعدٌّ له ، وإيَّاكَ أن تُصيبَهُ منكَ غِـرَّةٌ أو غَفلَةٌ . فإني لا أحسَبُ المَلِكَ حين يَدخُلُ عليه إلاَّ سَيَعرِفُ أنَّه قد هَمَّ بعظيمَةٍ . ومن علاماتِ ذلك أنَّك تَرى هيئتَهُ مُتَغَيِّـرَةً ، وتَرَى أوصالَهُ تُرعَدُ[٨٨] وتَراهُ مُلتَفِتًا يمينًا وشِمالاً ، وتَراهُ يُصَوِّبُ قَرنَيه فعلَ الذي هَمَّ بالنِّطاحِ والقِتالِ .

قالَ الأسَدُ : سأكونُ منه على حَذَرٍ وإن رأيتُ منه ما يَدُلُّ على ما ذَكَرتَ عَلِمتُ أنَّ ما في أمرِهِ شَكٌّ .

فلمَّا فَـرَغَ دِمنَةُ من تَحريشِ الأسَدِ على الثَّورِ وعَـرَفَ أنَّه قد وقَعَ في نفسِهِ ما كانَ يَلتَمِسُ وأنَّ الأسَدَ سَيَتَحَذَّرُ مِنَ الثَّورِ ويَتَهيَّـأُ له أرادَ أن يأتِيَ الثَّورَ ليُغرِيَهُ بالأسَدِ . وأحَبَّ أن يكونَ إتيانُهُ من قِبَلِ الأسَدِ مخافَةَ أن يَبلُغَهُ ذلك فيَتَـأَذَّى به ، فقالَ : أيُّها المَلِكُ ألا آتي شَتْـرَبَةَ فأنظُـرَ إلى حالِهِ وأمرِهِ وأسمَعَ كلامَهُ لعلِّي أن أطَّلِعَ على سِـرِّهِ فأُطلِعَ المَلِكَ على ذلك وعلى ما يَظهَرُ لي منه ؟ فأذِنَ له الأسَدُ في ذلك . فانطَلَقَ فدَخَلَ على شَتْـرَبَةَ كالكَئيبِ الحَزينِ . فلمَّا رآهُ الثَّورُ رحَّبَ به وقالَ : ما كانَ سَبَبُ انقِطاعِكَ عنّي فإنّي لم أرَكَ منذُ أيامٍ ، أسَلامَةٌ هو ؟ قالَ دِمنَةُ : ومتى كانَ من أهلِ السَّلامَةِ مَن لا يَملِكُ نفسَهُ وأمرُهُ بيدِ غيرِهِ ممن لا يوثَقُ به ولا

---

(٨٨) ترعد : تضطرب وتهتز .

يَنفَكُّ على خَطَرٍ وخَوفٍ حتى ما من ساعَةٍ تَـمُـرُّ ويأمَنُ فيها على نفسه!

قالَ شَتْـرَبَةُ : وما الذي حَدَثَ ؟ قالَ دِمنَةُ : حَدَثَ ما قُدِّرَ وهو كائِنٌ . ومَن ذا الذي غالَبَ القَدَرَ ؟ ومَن ذا الذي بَلَغَ مِنَ الدُّنيا جَسيماً مِنَ الأمورِ فلم يَبطَرْ ؟ ومَن ذا الذي بَلَغَ مُناهُ فلم يَغتَـرَّ ؟ ومَن ذا الذي تَبعَ هَواهُ فلم يَخسَـرْ ؟ ومَن ذا الذي حادَثَ النِّساءَ فلم يُصَبْ ؟ ومَن ذا الذي طَلَبَ مِنَ اللِّئامِ فلم يُحرَمْ ؟ ومَن ذا الذي خالَطَ الأشرارَ فَسَلِمَ ؟ ومَن ذا الذي صَحِبَ السُّلطانَ فَدامَ له منه الأمنُ والإحسانُ ؟ ولقد صَدَقَ الذي قالَ : مَثَلُ السَّلاطينِ في قِلَّةِ وفائِهِمْ لِمَن صَحِبَهُمْ وسَخاءِ أنفسِهِمْ بمن فقَدُوا من قُـرَنائِهِمْ كَمَثَلِ صاحِبِ الخانِ كلَّما فَقَدَ واحِدًا جاء آخَـرُ .

قالَ شَتْـرَبَةُ : إني أسمَعُ منكَ كلامًا يَدُلُّ على أنَّه قد رابَكَ مِنَ الأسَدِ رائِبٌ وهالَكَ منه أمرٌ .

قالَ دِمنَةُ : أجَلْ لقد رابَني منه ذلك وليسَ هو في أمرِ نفسي .

قالَ شَتْـرَبَةُ : ففي نفسِ مَن رابَكَ ؟ قالَ دِمنَةُ : قد تعلَمُ ما بيني وبينك وتَعلَمُ حَقَّكَ عليَّ وما كنتُ جَعَلتُ لك مِنَ العَهدِ والميثاقِ أيّامَ أرسَلَني الأسَدُ إليك . فلم أجِدْ بُدًا من حِفظِكَ وإطلاعِكَ على ما اطَّلَعتُ عليه مـمّـا أخافُ عليك منه .

قالَ شَتْـرَبَةُ : وما الذي بَلَغَكَ ؟ قالَ دمنةُ : حَدَّثَني الخَبيرُ الصَّدوقُ

الذي لا مِريَةَ[89] في قَولِهِ أنَّ الأسَدَ قالَ لبعضِ أصحابِهِ وجُلَسائِهِ : قد أعجَبَني سِمَنُ الثَّورِ وليسَ لي إلى حياتِهِ حاجَـةٌ فأنا آكُلُه ومُطعِمٌ أصحابي من لحمِهِ . فلمَّـا بَلَغَني هذا القَولُ وعَرَفتُ غَدرَهُ وسوءَ عهدِهِ أقبَلتُ إليك لأقضِيَ حَقَّكَ وتَحتالَ أنتَ لأمرِكَ .

فلمَّـا سَمِعَ شَتْـرَبَةُ كلامَ دِمنَةَ وتَذَكَّرَ ما كانَ دِمنَةُ جَعَلَ له مِنَ العَهدِ والميثاقِ وفَكَّرَ في أمرِ الأسَدِ ظَنَّ أنَّ دِمنَةَ قد صَدَّقَهُ ونَصَحَ له . ورأى أنَّ الأمرَ شبيهٌ بما قالَ دِمنَةُ . فأهَمَّـهُ ذلك وقالَ : ما كانَ للأسَدِ أن يَغدُرَ بي ولم آتِ إليه ذَنبًا ولا إلى أحدٍ من جُندِهِ منذ صَحِبتُهُ ، ولا أظُنُّ الأسَدَ إلاَّ قد حُمِلَ عليَّ[90] بالكَذِبِ وشُـبِّـهَ عليه أمري ، فإنَّ الأسَدَ قد صَحِبَهُ قَومُ سوءٍ وجَـرَّبَ منهُمُ الكَذِبَ وأُموراً تُصَدِّقُ إذا بَلَغَتهُ عن غيرِهِم . فإنَّ صُحبَةَ الأشرارِ ربما أورَثَتْ صاحِبَهَا سوءَ ظَنٍّ بالأخيارِ وحَمَلَهُ ما يَختَبِرُهُ منهم على الخَطإِ في حقِّ غيرِهِم ، كخطإِ البطَّةِ التي زَعَموا أنَّها رأتْ في الماءِ ضَوءَ كوكَبٍ فَظَنَّتهُ سَمَكَةً فحاوَلَتْ أن تَصيدَها . فلمَّـا جَـرَّبَتْ ذلك مِراراً عَلِمَتْ أنَّه ليس بشيءٍ يُصادُ فتَـرَكَتهُ . ثم رأتْ من غَدِ ذلك اليومِ سَمَكَةً . فظَـنَّـتْ أنَّها مثلُ الذي رأتهُ بالأمسِ فتَـرَكَتها ولم تَطلُبْ صَيدَها .

(. .)

---

(٨٩) لا مرية : أي لا شك .

(٩٠) حُمِلَ عليَّ : أغروه ليوقع بي .

قالَ دِمنَةُ : إنَّ إرادَةَ الأسَدِ بك ليست من تَحْريشِ الأشرارِ ولا سَكَرةِ السُّلطانِ ولا غيرِ ذلك . ولكنَّها الغَدرُ والفُجورُ منه فإنَّه فاجِرٌ خَـوَّانٌ غَـدَّارٌ لطعامِهِ حَلاوَةٌ وآخِرُهُ سُمٌّ مُميتٌ .

قالَ شَتْـرَبَةُ : فأراني قد استلَذَذتُ الحَلاوَةَ إذ ذُقتُها وقد انتَهَيتُ إلى آخرِها الذي هو المَوتُ . ولولا الحَينُ ما كانَ مُقامي عند الأسَدِ وهو آكِلُ لحم وأنا آكِلُ عُشبٍ . فأنا في هذه الورطَةِ كالنَّحلَةِ التي تَجلِسُ على نَورِ النَّيلُوفَرِ[٩١] إذا تَستَلِذُّ ريحَهُ وطَعمَهُ فتَحبِسُها تلك اللَّـذَّةُ عنِ الحِينِ الذي يَنبَغي أن تَطيرَ فيه . فإذا جاء الليلُ يَنضَمُّ عليها فتَرتَبِكُ فيه وتَموتُ . ومَن لم يَرضَ مِنَ الدُّنيا بالكَفافِ الذي يُغنيهِ وطَمَحَتْ عينُهُ إلى ما سوى ذلك ولم يَتَخَوَّفْ عاقبَتَهُ كانَ كالذُّبابِ الذي لا يَرضى بالشَّجَرِ والرَّياحينِ ولا يُقنِعُـهُ ذلك حتى يَطلُبَ الماء الذي يَسيلُ من أُذُنِ الفيلِ فَيَضرِبُهُ الفيلُ بأُذُنَيهِ فيُهلِكُهُ . ومَن يَبذُلْ وُدَّهُ ونَصيحَتَهُ لِمَن لا يَشكُرُهُ فهو كَمَن يَبذُرُ في السِّباخ[٩٢] . ومَن يُشِرْ على المُعجَبِ كَمَن يُشاوِرُ المَيتَ أو يُسارُّ الأصَمَّ .

قالَ دِمنَةُ : دَعْ عنك هذا الكلامَ واحتَلْ لنفسِكَ . قالَ شَتْـرَبَةُ : بأيِّ شيءٍ أحتالُ لنفسي إذا أرادَ الأسَدُ أكلي معَ ما عَـرَّفتَني من رأيِ الأسَدِ وسوءِ أخلاقِهِ ؟ وأعلَمُ أنَّـه لو لم يُرِدْ بي إلاَّ خَيراً ثم أرادَ أصحابُهُ بمَكرِهِمْ

(٩١) النَّيلوفر : ضرب من الرياحين .

(٩٢) السِّباخ : أرض لم تحرث .

وفُجورِهِمْ هَلاكي لَقَدروا على ذلك . فإنَّـه إذا اجتَمَعَ المَكَرَةُ الظَّلَمَةُ على البَريءِ الصَّالِحِ كانوا خُلَقاءَ أن يُهلِكوهُ وإن كانوا ضُعَفاءَ وهو قَوِيٌّ . كما أهلَكَ الذِّئبُ والغُرابُ وابنُ آوى الجَمَلَ حين اجتَمَعوا عليه بالمَكرِ والخَديعَةِ والخيانَةِ .

قالَ دِمنَةُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟ .

مثل الذئب والغراب وابن آوى والجمل

قالَ شَتْرَبَةُ : زَعَموا أنَّ أسَدًا كانَ فى أجَمَةٍ مُجاوِرَةٍ لطريقٍ من طُرُقِ الناس، وكانَ له أصحابٌ ثلاثَةٌ : ذئبٌ وغُرابٌ وابنُ آوى . وإنَّ رُعاةً مَـرُّوا بذلك الطَّريقِ ومعَهُم جِمالٌ . فتَخَلَّفَ منها جَمَلٌ فدَخَلَ تلك الأَجَمَةَ حتى انتَهى إلى الأسَدِ . فقالَ له الأسَدُ : من أينَ أقبَلتَ ؟ قالَ : من مَوضِعِ كذا . قالَ : فما حاجَتُكَ ؟ قال : ما يأمُـرُني به الملِكُ . قالَ : تُقيمُ عندنَا في السَّعَةِ والأمنِ والخِصبِ . فأقامَ الأسَدُ والجَمَلُ معه زمانًا طويلاً .

ثم إنَّ الأسَدَ مَضى في بعضِ الأيامِ لطَلَبِ الصَّيدِ ، فَلَقِي فيلاً عَظيماً فقاتَلَهُ قِتالاً شديدًا وأفلَتَ منه مُثقَلاً مُثخَنًا [٩٣] بالجِراحِ يَسيلُ منه الدَّمُ ، وقد خَدَشَهُ الفيلُ بأنيابِهِ . فلمّا وصلَ إلى مكانِهِ وَقَعَ لا يَستَطيعُ حراكًا ولا يَقدِرُ على طَلَبِ الصَّيدِ . فَلَبِثَ الذِّئبُ والغُرابُ وابنُ آوى أيّامًا لا يَجِدونَ

---

(٩٣) مُثخنًا : أي مبالغًا بجراحه .

طعامًا لأنّهم كانوا يأكلونَ من فَضَلات الأسَدِ وطعامِهِ . فأصابَهُمْ وأصابَهُ جوعٌ شديدٌ وهُزالٌ . وعَرَفَ الأسَدُ منهم ذلك فقالَ : لقد جُهدتُمْ واحتَجتُمْ إلى ما تأكُلونَ . فقالوا : لا تُهِمُّنا أنفسُنا . لكنَّا نَرى الملِكَ على ما نَراهُ فليتَنا نَجِدُ ما يأكُلُهُ ويُصلِحُهُ . قالَ الأسَدُ : ما أشُكُّ في نصيحَتِكُمْ ولكنِ انتَشِروا لعلَّكُم تُصيبون صَيدًا تأتونَني به فيُصيبَني ويُصيبَكُم منه رِزقٌ .

فَخَـرَجَ الذئبُ والغـرابُ وابنُ آوى من عند الأسَـدِ فتَنَحَّـوا وائتَمَروا فيما بينهم وقالوا : ما لنا ولهذا الآكِلِ العُشبِ الذي ليسَ شأنُهُ من شأنِنا ولا رأيُهُ من رأينا ، ألا نُزَيِّنُ للأسَد فيأكُلَهُ ويُطعِمنَا من لحمِهِ ؟ قالَ ابنُ آوى : هذا ممَّا لا نَستَطيعُ ذِكرَهُ للأسَدِ لأنَّه قد أمَّنَ الجَمَلَ وجَعَلَ له مِن ذِمَّتِهِ . قالَ الغرابُ : أنا أكفيكُمْ أمرَ الأسَدِ . ثم انطَلَقَ فدَخَلَ عليه فقالَ له الأسَدُ : هل أصَبتَ شيئًا ؟ قالَ الغرابُ : إنما يُصيبُ مَن يَسعى ويُبصِـرُ . وأما نحن فلا سَعيَ لنا ولا بَصَـرَ لما بِنا مِنَ الجوعِ . ولكن قد وُفِّقْنَا إلى أمرٍ واجتَمَعنا عليه إن وافقَنا الملِكُ فنحن له مُجيبونَ . قالَ الأسَدُ: وما ذاك ؟ قالَ الغُرابُ : هذا الجَمَلُ آكِلُ العُشبِ المُتَمَرِّغُ بيننا من غيرِ مَنفَعَةٍ لنا منه ولا رَدِّ عائِدَةٍ [٩٤] ولا عَمَلٍ يُعقِبُ مصلحَةً .

فلمَّا سَمِعَ الأسَدُ ذلك غَضِبَ وقالَ : ما أخطأ رأيَكَ وما أعجَزَ

(٩٤) عائدة : معروف .

مقالَكَ وأبعدَكَ عنِ الوفاءِ والرَّحمَةِ ! وما كنتُ حقيقًا أن تَجتَرِيءَ عليَّ بهذه المقالَةِ وتَستَقلَني بهذا الخطابِ معَ ما عَلمتَ من أني قد أمَّنتُ الجَمَلَ وجَعَلتُ له من ذِمَّتي . أوَ لم يَبلُغْكَ أنَّه لم يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بصَدَقَةٍ هي أعظَمُ أجرًا ممن أمَّنَ نفسًا خائِفَةً وحَقنَ دَمًا مَهدورًا ؟ أمَّنتُهُ ولستُ بغادِرٍ به ولا خافِرٍ[٩٥] له ذِمَّةً .

قالَ الغرابُ : إني لأعرِفُ ما يقولُ الملِكُ ولكنَّ النَّفسَ الواحِدَةَ يُفتَدى بها أهلُ البيتِ ، وأهلُ البيتِ تُفتَدى بهِم القبيلَةُ ، والقبيلَةُ يُفتَدى بها أهلُ المِصرِ ، وأهلُ المِصرِ[٩٦] فِدى الملِكِ . وقد نَزَلَتْ بالملِكِ الحاجَةُ وأنا أجعَلُ له من ذِمَّتِهِ مَـخْـرَجًا على أن لا يَتَكَلَّفَ الملِكُ ذلك ولا يَلِيَهُ بنفسِهِ ولا يأمُرَ به أحدًا . ولكنَّا نَحتالُ بحيلَةٍ لنا وله فيها صَلاحٌ وظَفَـرٌ .

فَسَكَتَ الأسَدُ عن جوابِ الغرابِ عن هذا الخطابِ . فلمَّـا عَـرَفَ الغرابُ إقرارَ الأسَدِ أتى صاحِبَيهِ فقالَ لهما : قد كَلَّمتُ الأسَدَ في أكلِهِ الجَمَلَ على أن نَجتَمِعَ نحن والجَمَلُ عند الأسَدِ فَنذكُرَ ما أصابَهُ ونَتَوَجَّعَ له اهتمامًا منَّا بأمرِهِ وحِرصًا على صَلاحِهِ . ويَعرِضُ كلُّ واحِدٍ منَّا نفسَهُ عليه تَجَمُّلاً ليأكُلَهُ فَيَـرُدَّ الآخرانِ عليه ويُسَفِّها رأيَهُ ويُبينا الضَّـرَرَ في

---

(٩٥) خافر : ناقض .

(٩٦) المصر : البلد .

أكلِهِ . فإذا جاءَت نَوبَةُ الجَمَلِ صَوَّبنا رأيَهُ فهلَكَ وسَلِمنا كلُّنا ورَضِىَ الأسَدُ عنَّا .

ففعَلوا ذلك وتَقَدَّموا إلى الأسَدِ ، فقالَ الغرابُ : قد احتَجتَ أيُّها الملِكُ إلى ما يَقوتُكَ . ونحن أحَقُّ أن نَهَبَ أنفسَنا لك فإنَّا بك نَعيشُ فإذا هَلَكتَ فليسَ لأحدٍ منَّا بقَاءٌ بعدَكَ ولا لنا في الحياةِ من خِيرَةٍ . فليأكُلني الملِكُ فقد طِبتُ بذلك نفسًا . فأجابَهُ الذئبُ وابنُ آوى أنِ اسكُتْ فلا خَيرَ للملِكِ فى أكلِكَ وليسَ فيكَ شَبعٌ .

قالَ ابنُ آوى : لكن أنا أُشبِعُ الملِكَ فليأكُلني فقد رَضيتُ بذلك وطبتُ نفسًا . فَـرَدَّ عليه الذِئبُ والغرابُ بقَولِهما : إنَّك لَـمُنتِنٌ قَذِرٌ .

قالَ الذِئبُ : إني لستُ كذلك فليأكُلني الملِكُ فقد سَمَحتُ بذلك وطابَتْ به نفسي ، فاعتَـرَضَهُ الغرابُ وابنُ آوى وقالا : قد قالتِ الأطِبَّاءُ مَن أرادَ قَتلَ نفسِهِ فليأكُلْ لحم ذِئبٍ .

فَظَنَّ الجَمَلُ أنَّه إذا عَرَضَ نفسَهُ على الأكلِ التَمَسوا له عُذرًا كما التَمَسَ بعضُهُمْ لبعضٍ الأعذارَ فَيَسلَمُ ويَرضى الأسَدُ عنه بذلك ويَنجو منَ المَهالِكِ . فقال : لكن أنا فِيَّ للملِكِ شِبَعٌ وَريٌّ ولَحمي طَيِّبٌ هَنِيٌّ وبَطني نَظيفٌ فليأكُلني الملِكُ ويُطعِمْ أصحابَهُ وخَدَمَهُ فقد رَضيتُ بذلك وطابَتْ نفسي به . فقال الذئبُ وابنُ آوى والغرابُ : لقد صَدَقَ الجَمَلُ وكَرُمَ وقالَ ما عَرَفَ . ثم إنَّهم وثَبوا عليه فمَزَّقوهُ .

وإنّما ضَرَبتُ لك هذا المَثَلَ لتَعلَمَ أنّه إن كان أصحابُ الأسَدِ قد اجتَمَعوا على هَلاكي فإني لستُ أقدِرُ أن أمتَنِعَ منهم ولا أحتَرِسَ وإن كانَ رأيُ الأسَدِ فيَّ على غيرِ ما هُم عليه مِنَ الرأيِ . فإنَّ ذلك لا ينفعُني ولا يُغني عنّي شيئًا . وقد يُقالُ خيرُ السَّلاطينِ مَن أشبَهَ النَّسرَ وحولَهُ الجيفُ لا مَن أشبَهَ الجِيفَةَ وحولَها النُّسورُ . ولو أنَّ الأسَدَ لم يكن في نفسِهِ لي إلاَّ الخيرُ والرَّحمَةُ لغَيَّرَتهُ كثرةُ الأقاويلِ . فإنَّها إذا كثُرَتْ لم تكُفَّ دونَ أن تُذهِبَ الرِّقَّةَ والرَّأفَةَ . ألا تَرَى أنَّ الماء ليسَ كالقَولِ ، وأنَّ الحَجَرَ أشَدُّ مِنَ الإنسان ؟ والماءُ إذا دامَ انحِدارُهُ على الحَجَرِ لم يَزَلْ به حتى يَثقُبَهُ ويُؤَثِّرَ فيه . وكذلك القَولُ في الإنسانِ .

قالَ دِمنَةُ : فماذا تُريدُ أن تَصنَعَ الآنَ ؟ قالَ شَتْرَبَةُ : ما أرى إلاَّ الاجتِهادَ والمُجاهَدَةَ بالقِتالِ ، فإنَّه ليسَ للمُصَلِّي في صَلاتِهِ ولا للمُحتَسِبِ في صَدَقَتِهِ ولا للوَرِعِ في وَرَعِهِ مِنَ الأجرِ ما للمُجاهِدِ عن نفسِهِ إذا كانت مُجاهَدَتُهُ على الحَقِّ .

قالَ دِمنَةُ : لا يَنبَغي لأحَدٍ أن يُخاطِرَ بنفسِهِ وهو يَستَطيعُ غيرَ ذلك .

ولكنَّ ذا الرأيِ جاعِلٌ القِتالَ آخِرَ الحِيَلِ وبادِىءٌ قَبلَ ذلك بما استَطاعَ من رِفقٍ وتَمَحُّلٍ (٩٧) . وقد قيلَ : لا تَحقُرَنَّ العَدُوَّ والضَّعيفَ المُهينَ

(٩٧) تَمَحُّل : احتيال .

ولا سيَّمَا إذا كانَ ذا حِيلَةٍ ويَقدِرُ على الأعوانِ . فكيفَ بالأسَدِ على جَراءَتِهِ وشِدَّتِهِ !

(. . .)

قالَ شَتْربَةُ : فما أنا بمُقاتِلٍ الأسَدَ ولا ناصِبٍ له العَداوَةَ سِرًّا ولا عَلانِيَةً ولا مُتَغَيِّرٍ له عمّا كنتُ عليه حتى يبدو لي منه ما أتَخَوَّفُ فأُغالبَهُ .

فَكَرِهَ دِمنَةُ قَولَهُ وعَلِمَ أنَّ الأسَدَ إن لم يَرَ مِنَ الثَّورِ العلاماتِ التي كانَ ذَكَرَها له اتَّهَمَهُ وأساءَ به الظَّنَّ . فقالَ لشَتْرَبَةَ : اذهَبْ إلى الأسَدِ فستَعْرِفُ حين ينظُرُ إليك ما يُريدُ منك .

قالَ شَتْرَبَةُ : وكيف أعرِفُ ذلك ؟ قالَ دِمنَةُ : سترَى الأسَدَ حين تَدخُلُ عليه مُقعيًا على ذَنَبِهِ رافعًا صَدرَهُ إليك مادًّا بَصَرَهُ نحوكَ قد صَرَّ[98] أُذُنَيهِ وفَغَرَ فَاهُ واستَوى للوَثْبَةِ . قالَ : إن رأيتُ هذه العلاماتِ مِنَ الأسَدِ عَرَفتُ صِدقَكَ في قَولِكَ .

ثم إنَّ دِمنَةَ لمَّا فَرَغَ من تَحريشِ الأسَدِ على الثَّورِ والثَّورِ على الأسَدِ تَوَجَّهَ إلى كَليلَةَ . فلمَّا التَقَيا قالَ كَليلَةُ : إلامَ انتهى عَمَلُكَ الذي كنتَ فيه؟ قالَ دِمنَةُ : قريبٌ مِنَ الفراغِ على ما أُحِبُّ وتُحِبُّ .

ثم إنَّ كَليلَةَ ودِمنَةَ انطَلَقا جميعًا ليَحضُرا قِتالَ الأسَدِ والثَّورِ وينظُرا ما

(٩٨) صَرَّ : نصب .

يَجري بينهما وما يَؤُولُ إليه أمرُهُما ، وجاءَ شَتَرْبَةُ فدَخَلَ على الأسَدِ فرآهُ مُقعِيًا كما وصفَهُ له دِمنَةُ فقالَ : ما صاحِبُ السُّلطانِ إلاَّ كصاحِبِ الحيَّةِ التي في صدرِهِ لا يدري متى تَهيجُ عليه .

ثم إنَّ الأسَدَ نَظَرَ إلى الثَّورِ فرأى الدِّلالاتِ التي ذَكَرَها له دِمنَةُ فلم يَشُكَّ أنَّه جاءَ لِقِتالِهِ . فواثَبَهُ ونَشأَتْ بينهما الحربُ واشتَدَّ قتالُ الثَّورِ والأسَدِ وطالَ وسالَتْ بينهما الدِّماءُ .

فلمّا رأى كَليلَةُ أنَّ الأسَدَ قد بَلَغَ مِنَ القِتالِ ما بَلَغَ قالَ لدِمنَةَ : أيُّها الفَسلُ[99] ، ما أنكَرَ جَهلَتَكَ وأسوأَ عاقبَتَكَ في تَدبيرِكَ ! قالَ دِمنَةُ : وما ذاكَ ؟ قالَ كَليلَةُ : جُرِحَ الأسَدُ وهَلَكَ الثَّورُ . وإنَّ أخرَقَ الخُرقِ مَن حَمَلَ صاحِبَهُ على سوءِ الخُلُقِ والمبارَزَةِ والقِتالِ وهو يَجِدُ إلى غيرِ ذلك سبيلاً . وإنَّما الرجلُ إذا أمكنَتهُ الفرصَةُ من عَدُوِّهِ يَترُكُهُ مَخافَةَ التَّعَرُّضِ له بالمُجاهَرَةِ ورَجاءَ أن يَقدِرَ عليه بدونِ ذلك . وإنَّ العاقِلَ يُدَبِّرُ الأشياءَ ويَقيسُها قَبلَ مُباشَرَتِها ، فما رَجا أن يَتِمَّ له منها أقدَمَ عليه ، وما خافَ أن يَتَعَذَّرَ عليه منها انحرَفَ عنه و لم يَلتَفِتْ إليه . وإني لأخافُ عليك عاقِبَةَ بَغيِكَ هذا ، فإنَّكَ قد أحسنتَ القَولَ ولم تُحسِنِ العَمَلَ . أينَ مُعاهَدَتُكَ إيّايَ أنَّك لا تُضِرُّ بالأسَد في تَدبيرِكَ ؟ وقد قيلَ : لا خيرَ في القَولِ إلاَّ معَ العَمَلِ . ولا في الفِقهِ إلاَّ معَ الوَرَعِ . ولا في الصَّدَقَةِ إلاَّ مع

(٩٩) الفَسْلُ : الضعيف الرذل .

النِّيَّةِ . ولا في المالِ إلاَّ معَ الجُودِ . ولا في الصِّدقِ إلاَّ معَ الوفاءِ . ولا في الحياةِ إلاَّ معَ الصحَّةِ . ولا في الأمنِ إلاَّ معَ السُّرورِ . وقد شَرَطتَ أمرًا لا يَقدِرُ عليه إلاَّ العاقِلُ الرَّفيقُ .

(. . .)

فانتهَى كَليلَةُ من كلامِهِ إلى هذا المكانِ وقد فَرَغَ الأسَدُ مِنَ الثَّورِ . ثم فكَّرَ في قَتلِهِ بعد أن قَتَلَهُ وذَهَبَ عنه الغَضَبُ وقالَ : لقد فَجَعَني شَتْـرَبَةُ بنفسِهِ وكانَ ذا عَقلٍ ورأيٍ وخُلقٍ كريمٍ . ولا أدري لعلَّهُ كانَ بَريئًا أو مَكذوبًا عليه . فحَـزِنَ ونَدِمَ على ما كانَ منه . وتَبَيَّنَ ذلك في وَجهِهِ وبَصُـرَ به دِمنَةُ فتَـرَكَ مُحاوَرَةَ كَليلَةَ وتَقَدَّمَ إلى الأسَدِ فقالَ له : لِيَهنِئكَ الظَّفَـرُ ، إذ أهلَكَ اللهُ أعداءَكَ ، فما يُحزِنُكَ أيُّها الملِكُ ؟ قالَ : أنا حزينٌ على عَقلِ شَتْـرَبَةَ ورأيِهِ وأدَبِهِ . قالَ له دمنَةُ : لا تَرحَمْهُ أيُّها الملِكُ فإنَّ العاقِلَ لا يَرحَمُ مَن يَخافُهُ ، وإنَّ الرَّجلَ الحازِمَ ربما أبغَضَ الرجلَ وكَرِهَهُ ثم قَـرَّبَهُ وأدناهُ لما يَعلَمُ عندَهُ مِنَ الغَناء[100] والكَفاءَةِ فِعلَ الرجلِ المُتكارِهِ على الدَّواءِ الشَّنيعِ رَجاءَ مَنفَعَته . وربما أحَبَّ الرَّجلَ وعَـزَّ عليه فأقصاهُ وأهلَكَهُ مخافَةَ ضَـرَرِهِ . كالذي تَلدَغُهُ الحيَّةُ في إصبَعِهِ فيَقطَعُها وَيَتَبَـرَّأُ منها مخافَةَ أن يَسريَ سُمُّها إلى بَدَنِهِ .

فَـرَضِـيَ الأسَدُ بقَولِ دِمنَةَ . ثم عَلِمَ بعد ذلك بكَذِبِهِ وفُجورِهِ فقتَلَهُ شَـرَّ قِتلَةٍ .

---

(١٠٠) الغناء : المنفعة .

باب البوم والغِربان

قالَ دَبشَليمُ الملِكُ لبَيْدبَا الفَيلَسوفِ : قد سَمِعتُ مَثَلَ إخوانِ الصَّفاءِ وتَعاوُنِهِم . فاضرِبْ لي مَثَلَ العَدُوِّ الذي لا يَنبَغي أن يُغتَـرَّ به وإن أظهَرَ تَضَـرُّعًا ومَلَقًا[١٠١] . وأخبرني عنِ العَدُوِّ هل يَصيرُ صديقًا وهل يُوثَقُ من أمرِهِ بشيءٍ ، وكيفَ العَداوَةُ وما ضَـرَرُها ، وكيفَ يَنبَغي للملِكِ أن يَصنَعَ إذا طَلَبَ عَدُوُّهُ مُصالحَتَهُ .

قالَ الفَيلَسوفُ : مَنِ اغتَـرَّ بالعَدُوِّ الذي لا يزالُ عَدُوًّا أصابَهُ ما أصابَ البومَ مِنَ الغِربانِ . قالَ الملِكُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟

قالَ بَيْدبَا : زَعَموا أنَّه كانَ في جَبَلٍ مِنَ الجبالِ شجرَةٌ من شجرِ الدَّوحِ فيها وَكْرُ ألفِ غُرابٍ وعليهِنَّ والٍ من أنفسهِنَّ . وكانَ عندَ هذه الشجَرةِ كهفٌ فيه ألفُ بومَةٍ وعليهِنَّ والٍ منهنَّ . فخَرَجَ ملِكُ البومِ لبعضِ غَدَواتِهِ ورَوحاتِهِ وفي نفسِهِ العَداوَةُ لملِكِ الغِربانِ وفي نفسِ الغِربانِ

(١٠١) ملقًا : توددًا .

ومَلِكِها مثلُ ذلك للبومِ . فأغارَ مَلِكُ البومِ في أصحابِهِ على الغِربانِ في أوكارِها فقَتَلَ وسَبى منها خَلقًا كثيرًا . وكانت الغارةُ ليلاً . فلمّا أصبَحَتِ الغربانُ اجتَمَعَت إلى مَلِكِها فقلنَ له : قد عَلِمتَ ما لَقينا الليلةَ من ملِكِ البومِ وما مِنّا إلاّ مَن أصبَحَ قَتيلاً أو جريحًا أو مَكسورَ الجَناحِ أو مَنتوفَ الرِّيشِ أو مَهلوبَ (١٠٢) الذَّنبِ . وأشَدُّ ما أصابَنا ضَرًا جراَءَتُهُنَّ علينا وعِلمُهُنَّ بمكانِنا ، وهنَّ عائِداتٌ إلينا غيرُ مُنقَطعاتٍ عنّا لعِلمِهِنَّ بمكانِنا . فإنَّما نحن لكَ أيُّها المَلِكُ فانظُـرْ لنا ولنفسِكَ .

وكانَ في الغِربانِ خَمسَةٌ مُعتَـرَفٌ لهنَّ بحُسنِ الرأيِ يُسنَدُ إليهِنَّ في الأمورِ وتُلقى إليهِنَّ مقاليدُ الأحوالِ . وكانَ المَلِكُ كثيرًا ما يُشاوِرُهُنَّ في الأمورِ ويأخُذُ آراءَهُنَّ في الحوادِثِ والنَّوازِلِ (١٠٣) . فقالَ المَلِكُ للأوَّلِ مِنَ الخمسةِ : ما رأيُكَ في هذا الأمرِ ؟ قالَ : رأيٌ قد سَبَقَتنا إليه العلماءُ وذلك أنَّهم قالوا : ليسَ للعَدُوِّ الحَنِقِ الذي لا طاقَةَ لكَ به إلاّ الهَـربُ منه . قالَ المَلِكُ للثَّاني : ما رأيُكَ أنتَ في هذا الأمر ؟ قالَ : ما رأى هذا مِنَ الهَـرَبِ . قالَ المَلِكُ : لا أرى لكما ذلك رأيًا أن نَرحَلَ عن أوطانِنا ونُخليهَا لعَدُوِّنا من أوَّلِ نكبَةٍ أصابَتنا منه ، ولا يَنبَغي لنا ذلك فنكونَ به لهم عونًا علينا . ولكن نَجمَعُ أمرنَا ونَستَعِدُّ لعدُوِّنا ونُذكي نارَ الحربِ فيما بيننا وبين عدُوِّنا ونَحتَرِسُ مِنَ الغِرَّةِ إذا أقبَلَ إلينا فنَلقاهُ مُستَعِدِّينَ

---

(١٠٢) مهلوب : منتوف الذنب .

(١٠٣) النّوازل : الشدائد .

ونُقاتِلُهُ قِتالاً غيرَ مُراجِعينَ فيه ولا حامينَ (١٠٤) منه . وتَلقى أطرافُنَا أطرافَ العَدُوِّ ونَتَحَـرَّزُ (١٠٥) بحُصونِنا ونُدافِعُ عَدُوَّنا بالأناة مَـرَّةً وبالجِلادِ(١٠٦) أخرى حيثُ نُصيبُ فرصتَنَا وبُغْيَتَنَا وقد ثَنَينا عَدُوَّنا عنَّا .

ثم قالَ المِلكُ للثَّالِثِ : ما رأيُكَ أنتَ ؟ قالَ : لا أرى ما قالا رأيًا ، ولكن نَبُثُّ العُيونَ ونَبعَثُ الجواسيسَ ونُرسِلُ الطَّلائِعَ بيننا وبين عَدُوِّنا فَنعلَمُ هل يُريدُ صُلحَنا أم يُريدُ حَربَنا أم يُريدُ الفِديَةَ . فإن رأينا أمرَهُ أمرَ طامِعٍ في مالٍ لم نكـرَه الصُّلحَ على خرَاجٍ نُؤدِّيهِ إليه في كلِّ سَنَةٍ نَدفَعُ به عن أنفسِنا ونَطمَئِنُّ في أوطانِنا . فإنَّ من آراءِ الملوكِ إذا اشتَدَّت شَوكَةُ عَدُوِّهِم فخافوا على أنفسِهِم وبلادِهِم أن يَجعَلوا الأموالَ جُنَّـةَ (١٠٧) البلادِ والمِلكِ والرعيَّةِ .

قالَ المِلكُ للرابعِ : فما رأيُكَ في هذا الصُّلحِ ؟ قالَ : لا أراهُ رأيًا بل أن نُفارِقَ أوطانَنا ونَصبِرَ على الغُربَةِ وشِدَّةِ المَعيشَة خيرٌ من أن نُضيعَ أحسابَنا(١٠٨) ونَخضَعَ للعَدُوِّ الذي نحن أشرَفُ منه . معَ أنَّ البومَ لو عَرَضنا ذلك عليهِنَّ لَمَا رَضِينَ منَّا إلاَّ بالشَّطَطِ . ويُقالُ في الأمثال : قارِبْ عَدُوَّكَ بعضَ المقارَبَةِ لتَنالَ حاجَتَكَ ولا تُقارِبُه كلَّ المُقارَبَةِ

---

(١٠٥) نتحرّز : نتحفّظ .

(١٠٦) الجلاد : المضاربة بالسيوف .

(١٠٧) جُنّة : سترة .

(١٠٨) أحسابنا : مفاخرنا .

فَيجتَرِئَ عليك ويُضعِف جُندَكَ وتَذِلَّ نفسُكَ . ومَثَلُ ذلك مَثَلُ الخَشَبَة المَنصوبَةِ في الشَّمسِ إذا أمَلتَها قليلاً زادَ ظِلُّها ، وإذا جاوَزتَ بها الحَدَّ في إمالَتِكَها(١٠٩) نَقَصَ الظلُّ . وليسَ عَدُوُّنا راضيًا منَّا بالدُّونِ في المُقارَبَة . فالرأيُ لنا ولكَ المُحارَبَةُ .

قالَ الملِكُ للخامِسِ : ما تَقولُ أنتَ وماذا تَرى ؟ القِتالُ أمِ الصُّلحُ أم الجَلاءُ عنِ الوطَنِ ؟ قالَ : أمَّا القتالُ فلا سبيلَ للمَرءِ إلى قتالِ مَن لا يَقوى عليه . وقد يُقالُ إنَّـهُ مَن لا يَعْرِفُ نفسَهُ وعَدُوَّهُ وقاتَلَ مَن لا يقوى عليهِ حَمَلَ نفسَهُ على حتفِها . معَ أنَّ العاقِلَ لا يَستَصغِرُ عَدُوًا . فإنَّ مَنِ استَصغَرَ عَدُوَّهُ اغتَـرَّ به ومَنِ اغتَـرَّ بعَدُوِّهِ لم يَسلَمْ منه . وأنا للبومِ شديدُ الهَيبَةِ وإن أضرَبنَ عن قِتالنا، وقد كنتُ أهابُها قَبلَ ذلك . فإنَّ الحازِمَ لا يأمَنُ عَدُوَّهُ على كلِّ حـالٍ . فـإن كانَ بعيـدًا لم يأمَنْ سَطوَتَهُ، وإن كانَ مُكثِبًا(١١٠) لم يأمَنْ وَثبَتَهُ ، وإن كانَ وحيدًا لم يأمَنْ مَكرَهُ . وأحزَمُ الأقوامِ وأكيَسُهُمْ مَن كَرِهَ القتالَ لأجل النَّفَقَةِ فيه . فإنَّ ما دونَ القتالِ النَّفَقَةُ فيه مِنَ الأموالِ والقَولِ والعَمَلِ . والقِتالُ النَّفَقَةُ فيه مِنَ الأنفسِ والأبدانِ . وربَّما اكتُفِيَ عنه بالنَّفَقَةِ اليَسيرَةِ والكَلامِ اللَّـيِّنِ .

فلا يَكونَنَّ القِتالُ للبومِ من رأيِكَ أيُّها الملِكُ . فإنَّ مَن قاتَلَ مَن لا يَقوى عليه فقد غـرَّرَ بنفسِهِ . فإذا كانَ الملِكُ مُحصِنًا للأسرارِ مُتَخَيِّـرًا

---

(١٠٩) إمالَتَكَهَا : إمالتك إياها .

(١١٠) مكثِبًا : قريبًا .

للوُزَراءِ مهيبًا في أعيُنِ الناسِ بعيدًا من أن يُقدَرَ عليه ، كانَ خَليقًا أن لا يُسلَبَ ، صَحيحَ ما أُتِيَ مِنَ الخَيرِ . وأنتَ أيُّها المَلِكُ كذلك والمَلِكُ يَزدادُ برأيِ وُزَرائِهِ بَصيرَةً كما يَزيدُ البحرُ بمُجاوِرِهِ مِنَ الأنهارِ .

وقد استَشَرتَني في أمرِ جوابكَ منّي عنه في بعضِهِ عَلَنِيٌّ وقد أجَبتُكَ به ، وفي بعضِهِ سِرّيٌّ .

(. . .)

فإنَّ وُزَراءَ المَلِكِ إذا كانوا صالِحينَ وكانَ يُطيعُهُمْ في آرائِهِمْ لم يَضُرَّ في مُلكِهِ كَونُهُ جاهِلاً واستقَامَ أمرُهُ . كما فَعَلَتِ الأرنَبُ التي زَعَمَتْ أنَّ القَمَرَ مَلِكُها وعَمِلَتْ برأيِها . قالتِ الطَّيرُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟ .

مثل الأرنبِ وملك الفِيَلة

قالَ الغرابُ : زَعَموا أنَّ أرضًا من أراضي الفِيَلَةِ تَتابَعَتْ عليها السُّنون وأجدَبَتْ وقَلَّ ماؤُها وغارَتْ عُيونُها وذَوى نَبتُها ويَبِسَ شجرُها . فأصابَ الفِيَلَةَ عَطَشٌ شديدٌ . فشَكَونَ ذلك إلى ملِكِهِنَّ فأرسَلَ الملِكُ رُسُلَهُ ورُوادَهُ في طَلَبِ الماءِ في كلِّ ناحيةٍ . فَرَجَعَ إليه بعضُ الرُّسُلِ فقالَ له : إني قد وَجَدتُ بمكانِ كذا عَيناً يُقالُ لها عَينُ القَمَرِ كثيرَةُ الماءِ . فتَوجَّهَ ملِكُ الفِيَلَةِ بأصحابِهِ إلى تلك العَينِ ليَشرَبَ منها هو وفِيَلَتُهُ . وكانت العَينُ في أرضٍ للأرانِبِ فَوَطِئنَ الأرانِبَ في أجحارِهِنَّ فأهلَكنَ منهُنَّ كثيرًا . فاجتَمَعَتِ الأرانِبُ إلى ملكِها فقلنَ له : قد عَلِمتَ ما أصابَنا مِنَ الفِيلَةِ . فقالَ : ليُحْضِرْ منكُنَّ كلُّ ذي رأيٍ رأيَهُ .

فَتَقَدَّمَتْ أرنَبٌ مِنَ الأرانِبِ يُقالُ لها فَيروزُ ، وكانَ الملِكُ يَعرِفُها بحُسنِ الرأيِ والأدَبِ . فقالت : إن رأى الملِكُ أن يَبعَثَني إلى الفِيَلَةِ ويُرسِلَ معي أمينًا ليَسمَعَ ويرَى ما أقولُ ويَرفَعَهُ إلى الملِكِ .

فقالَ لها الملِكُ : أنتِ أمينَةٌ ونَرضى بقَولِكِ فانطَلِقي إلى الفِيَلَةِ وبَلِّغي

عنّي ما تُريدينَ . واعلَمي أنَّ الرَّسولَ برأيِهِ وعَقلِهِ ولِينِهِ وفَضلِهِ يُخبِرُ عن عَقلِ المُرسِلِ . فعليكِ باللِّينِ والرِّفقِ والحِلمِ والتَّأَنّي . فإنَّ الرَّسولَ هو الذي يُلَيِّنُ الصُّدورَ إذا رَفَقَ ويُخَشِّنُ الصُّدورَ إذا خَـرِقَ (١١١). ثم إنَّ الأرنَبَ انطَلَقَتْ في ليلَةٍ قَمراءَ حتى انتَهَتْ إلى الفيلَةِ . وكَرِهَتْ أن تَدنُوَ منهنَّ مَخافَةَ أن يَطَأنَها بأرجُلِهِنَّ فيَقتُلْنَها وإن كُنَّ غيرَ مُتَعَمِّداتٍ فأشرَفَتْ على الجَبَلِ ونادَت مِلكَ الفِيلَةِ وقالت له : إنَّ القَمَـرَ أرسَلَني إليك والرَّسولُ غيرُ مَلومٍ فيما يُبَلِّغُ وإن أغلَظَ في القَولِ .

قالَ مِلكُ الفِيلَةِ : فما الرِّسالَةُ ؟ قالت : يَقولُ لكَ أنَّه مَن عَرَفَ فَضلَ قُوَّتِهِ على الضُّعَفاءِ فَاغتَـرَّ في ذَلِكَ بالأقوِيَاء قِياسًا لَهُمْ عَلَى الضُّعَفَاءِ كانت قُوَّتُهُ وَبالاً عليه . وأنتَ قد عَرَفتَ فَضلَ قُوَّتِكَ على الدَّوابِ فغَـرَّكَ ذلك فعَمَدتَ إلى العَينِ التي تُسمَّى باسمي فشَرِبتَ منها ورَنَّقتَها(١١٢) فأرسَلَني إليك فأُنذِرُكَ أن لا تَعودَ إلى مِثلِ ذلك . وأنَّه إن فَعَلتَ يُغَشِّي على بَصَرِكَ ويُتلِفُ نفسَكَ . وإن كنتَ في شَكٍّ من رِسالَتي فهَلُمَّ إلى العَينِ من ساعَتِكَ فإنَّه مُوافيكَ بها .

فعَجِبَ مَلِكُ الفِيلَةِ من قَولِ الأرنَبِ فانطَلَقَ إلى العَينِ معَ فَيروزَ الرَّسولِ . فلمَّـا نَظَـرَ إليها رأى ضوءَ القَمَـرِ فيها فقالت له فيروزُ الرَّسولُ : خُذْ بخُرطومِكَ مِنَ الماءِ فاغسِلْ به وَجهَكَ واسجُدْ للقَمَـرِ .

---

(١١١) خرق : جهل وحمق .

(١١٢) رنّقتها : كدّرتها .

فأدخَلَ الفيلُ خُرطومَهُ في الماء فتَحَـرَّكَ فخُيِّلَ إلى الفيلِ أنَّ القَمَـرَ ارتَعَدَ. فقالَ: ما شأنُ القَمَـرِ ارتَعَدَ؟ أتَـرَيْنَـهُ غَضِبَ من إدخالي خُرطومي في الماء؟ قالت فَيروزُ الأرنَبُ: نعم. فسَجَدَ الفيلُ للقَمَـرِ مرَّةٍ أخرى وتابَ إليه ممَّا صَنَعَ وشَرَطَ أن لا يَعودَ إلى مِثلِ ذلك هو ولا أحدٌ من فِيَلَتِهِ.

قالَ الغرابُ: ومعَ ما ذَكَرتُ من أمرِ البومِ فإنَّ فيها الخِبَّ والمَكَر والخَديعَةَ، وشَـرُّ الملوكِ المُخادِعُ.

(...)

وإنَّما ضَـرَبتُ لك هذا المَثَلَ لما أرجو أن نُصيبَ من حاجَتنا بالرِّفقِ والحِيلَة. وإني أُريدُ مِنَ الملِكِ أن يَنقُرَني على رؤوسِ الأشهادِ وينتِفَ ريشي وذَنَبي ثم يَطرَحَني فى أصلِ هذه الشجرةِ ويَرتَحِلَ المِلِكُ وجنودُهُ إلى مكان كذا. فإني أرجو أني أصبِرُ وأطَّلِعُ على أحوالِهِمْ ومَواضِعِ تَحصينِهِمْ وأبوابِهِمْ فأُخادِعُهُمْ وآتى إليكم لنَهجُمَ عليهم ونَنالَ منهم غَرَضَنا إن شاءَ اللهُ تَعالى.

قالَ المِلِكُ: أتَطِيبُ نفسُكَ لذلك؟ قالَ: نعم، وكيف لا تَطيبُ نفسي لذلك وفيه أعظَمُ الرَّاحاتِ للملِكِ وجنودِهِ!. ففَعَلَ الملكُ بالغرابِ ما ذَكَرَ ثم ارتَحَلَ عنه.

فلَمَّا جَنَّ الليلُ أقبَلَ مِلِكُ البومِ وجُندُهُ ليوقِعَ بالغربانِ، فلم يَجِدهُمْ، وهَمَّ بالانصرافِ. فجعَلَ الغرابُ يَئِنُّ ويَهْمِسُ حتى سَمِعَتْه البومُ ورأَيْنَهُ

يَرَيْنَ فأخبرنَ مِلكَهُنَّ بذلك . فقَصَدَ نحوه ليسأله عن الغِربان . فلمّا دَنا منه أمرَ بومًا أن يسألَهُ فقالَ له : مَن أنتَ وأينَ الغِربانُ ؟ فقالَ : أمَّا اسمى ففلانٌ . وأمَّا ما سألتَنى عنه فإني أحسَبُكَ ترَى أنَّ حالى حالُ مَن لا يَعلَمُ الأسرارَ . فقيلَ لِملكِ البومِ : هذا وزيرُ مِلكِ الغِربان وصاحِبُ رأيِهِ فنسألُهُ بأىِّ ذَنبٍ صُنعَ به ما صُنعَ . فسُئِلَ الغرابُ عن أمرِهِ فقال : إنَّ مِلكَنا استشارَ جماعتَنا فِيكُنَّ ، وكُنتُ يَومئذٍ بمَحضَرٍ مِنَ الأمرِ ، فقالَ : أيُّها الغِربانُ ما ترَونَ فى ذلك ؟ فقلتُ : أيُّها المِلكُ لا طاقَةَ لنا بقتالِ البومِ لأنَّهُنَّ أشَدُّ بَطشاً وأحَدُّ قَلباً منَّا . ولكن أرى أن نَلتَمس الصُّلحَ ثم نَبذُلَ الفِديَةَ فى ذلك فإن قَبِلَتِ البومُ ذلك منَّا وإلاَّ هَرَبنا فى البلاد . وإذا كانَ القِتالُ بيننا وبين البومِ كانَ خيرًا لهنَّ وشرًّا لنا . فالصُّلحُ أفضلُ مِنَ الخُصومَةِ . وأمَرتُهُنَّ بالرجوعِ عن الحرب وضَرَبتُ لهنَّ الأمثالَ فى ذلك وقلتُ لهنَّ إنَّ العَدُوَّ الشَّديدَ لا يَرُدُّ بأسَهُ مثلُ الخُضوعِ له . ألا تَرَينَ إلى الحَشيشِ كيف يَسلَمُ من عاصِفِ الرِّيحِ للينِه ومَيلِهِ معها حيثُ مالَتْ والشَّجَرُ العاتى يُكسَرُ بها ويُحطَمُ ؟

فَعصَينَني في ذلك وزَعَمنَ أنَّهُنَّ يُرِدنَ القِتال واتَّهَمنني فيما قلتُ وقلنَ : إنَّك قد مَالأْتَ البومَ علينا . ورَدَدنَ قَولِي ونَصيحَتي وعَذَّبْنَني بهذا العذابِ وتَركَني المِلكُ وجُنودُهُ وارتَحَلَ ولا عِلمَ لي بهنَّ بعد ذلك .

فلمَّا سَمِعَ مِلكُ البومِ مقالَةَ الغرابِ قالَ لبعضِ وُزَرائِهِ : ما تَقولُ في

الغرابِ وما تَرَى فيه ؟ قالَ : ماأرى إلاَّ المُعاجَلَةَ له بالقَتلِ فإنَّ هذا أفضَلُ عُدَدِ الغِربانِ، وفي قَتِلِه لنا راحَةٌ من مَكرِهِ، وفَقدُهُ على الغربانِ شديدٌ. فإذا قُتِلَ ثُلَّ [١١٤] مُلكُهُم وتَقَوَّضَ [١١٥] وما أراهُ إلاَّ فَتحاً قد أرسَلَهُ اللهُ إليك. ويُقالُ : مَن ظَفِرَ بالسَّاعَةِ التي فيها يَنجَحُ العَمَلُ ثم لا يعَاجِلُهُ بالذي يَنبغَي له فليسَ بحكيمٍ ، فإنَّ الأمور مَرهونَةٌ بأوقاتِها. ومَن طَلَبَ الأمرَ الجَسيمَ فأمكَنَهُ ذلك فأغفلَهُ فاتَهُ الأمرُ . وهو خَليقٌ أن لا تَعودَ الفرصَةُ ثانيةً . ومَن وَجَدَ عَدُوَّهُ ضَعيفًا ولم يُنجِزْ قَتلَهُ نَدِمَ إذا استَقوى ولم يَقدِرْ عليه .

قالَ الملِكُ لوَزيرٍ آخَرَ : ما تَرَى أنتَ فى هذا الغرابِ ؟ قالَ : أرى أن لا تَقتُلَهُ لأنَّه قد لَقِيَ من أصحابِهِ ما تَراهُ فهو خَليقٌ أن يكونَ دَليلاً لكَ على عَوراتِهِمْ ومُعيناً لكَ على ما فيه هَلاكُهُمْ . وإنَّ العَدُوَّ الذي لا ناصِرَ له أهلٌ لأن يُؤَمَّنَ ولا سِيَّمَا المُستَجيرِ الخائفِ . والعَدُوُّ إذا صَدَرَتَ منه المَنفَعَةُ ولو كانَ غيرَ مُتَعَمِّد لها أهلٌ لأن يُصفَحَ عنه بسببِها .

(. . .)

قالَ مَلِكُ البومِ لوَزيرٍ من وُزَرائِهِ : ما تَقولُ في أمرِ الغُرابِ ؟ قال : أرى أن تَستَبقيَهُ وتُحسِنَ إليه فإنَّه خلَيقٌ أن يَنصَحَكَ . والعاقِلُ يرَى

---

(١١٤) ثَلّ : أذهب .

(١١٥) تقوّض : انهدم .

مُعاداةُ بعضِ أعدائِهِ بعضاً ظَفَرًا حَسَنًا . ويَرى اشتِغالَ بعضِ أعدائِهِ ببعضٍ خَلاصًا لنفسِهِ منهم ونَجاةً .

(. . .)

فقالَ الوزيرُ الأوّلُ الذي أشارَ بقَتلِ الغرابِ : أظُنُّ أنَّ الغرابَ قد خَدَعَكُنَّ ووَقَعَ كلامُهُ في نفسِ الغَبيِّ منكُنَّ مَوقِعَهُ فُتَرِدنَ أن تَضَعْنَ الرأيَ غيرَ مَوضِعِه . فمهلاً مهلاً أيُّها المِلكُ عن هذا الرأيِ ولا تكونَنَّ لِما تَسمَعُ أشَدَّ تَصديقًا منك لِما ترَى .

(. . .)

فلم يَلتَفِتِ الملكُ إلى قَولِهِ وأمَرَ بالغرابِ أن يُحمَلَ إلى منازِلِ البومِ ويُكرَمَ ويُستَوصى به خيرًا .

ثم إنَّ الغرابَ قالَ للمِلك يومًا وعندَهُ جماعَةٌ منَ البومِ وفيهِنَّ الوَزيرُ الذي أشارَ بقَتلِهِ : أيُّها المِلكُ قد عَلِمتَ ما جَرى عليَّ مِنَ الغِربانِ وإنَّه لا يَستَريحُ قلبي دونَ الأخذِ بثأري منهُنَّ . وإني قد نَظَرتُ في ذلك فإذا بي لا أقدِرُ على ما رُمتُ لأني غرابٌ . وقد رُويَ عن العلماءِ أنَّهم قالوا : مَن طابَت نفسُهُ بأن يُحرِقَها فقد قَرَّبَ للهِ أعظَمَ القربانِ لا يَدعو عند ذلك بدَعوَةٍ إلاَّ استُجيبَ له . فإنَ رأى المِلكُ أن يأمُرَني فأُحرِقَ نفسي وأدعُوَ رَبّي أن يُحَوِّلَني بومًا فأكونَ أشَدَّ عَداوَةً للغِربانِ وأقوى بأسًا عليهِنَّ لعلّي أنتَقِمُ منهُنَّ .

فقالَ الوَزيرُ الذي أشارَ بقَتلِهِ : ما أشبَهَكَ في خيرِ ما تُظهِرُ وشَرِّ ما تُضمِرُ بالخَمرَةِ الطَّيبةِ الطَّعمِ والرّيحِ المُنقَعِ فيها السُّمُّ . أرأيتَ لو أحرَقنا جِسمَكَ بالنارِ أنَّ جوهَرَكَ وطَبعَكَ مُتَغَيِّرٌ ؟ أوَلَيسَت أخلاقُكَ تَدورُ معكَ حيثُ دُرتَ وتَصيرُ بعد ذلك إلى أصلِكَ وطينَتِكَ ؟

(. . .)

فلم يَلتَفِتْ ملكُ البومِ إلى ذلك القَولِ ورَفَقَ بالغرابِ ولم يَزدَدْ له إلاَّ إكراماً . حتى إذا طابَ عَيشُهُ ونَبَتَ ريشُهُ واطَّلَعَ على ما أرادَ أن يَطَّلِعَ عليه راغَ[١١٦] رَوغَةً فأتى أصحابَهُ بما رأى وسَمِعَ ، فقالَ للمِلكِ : إني قد فَرَغتُ مِمَّا كنتُ أُريدُ ولم يَبقَ إلاَّ أن تَسمَعَ وتُطيعَ . . قالَ له : أنا والجُندُ تحت أمرِكَ فاحتَكِمْ كيف شِئتَ .

قالَ الغرابُ : إنَّ البومَ بمكانِ كذا في جَبَلٍ كثيرِ الحَطَبِ . وفي ذلك المَوضِعِ قَطيعٌ مِنَ الغَنَمِ مع رجلٍ راعٍ ونحن مُصيبونَ[١١٧] هناكَ ناراً ونُلقيها في أثقابِ البومِ ونَقذِفُ عليها من يابسِ الحَطَبِ ونَتَرَوَّحُ عليها ضَرباً بأجنحَتِنا حتى تَضطَرِمَ النارُ في الحَطَبِ فمَن خَرَجَ منهُنَّ احتَرَقَ ومَن لم يَخرُجْ ماتَ بالدُّخانِ مَوضِعَهُ .

ففَعَلَ الغِربانُ ذلك فأهلَكنَ البومَ قاطِبَةً ورجَعنَ إلى منازِلِهِنَّ سالِماتٍ آمِناتٍ .

---

(١١٦) راغ : مال بحيلة .

(١١٧) مصيبون : واجدون .

ثم إنّ مِلكَ الغِربانِ قالَ لذلك الغرابِ : كيف صَبَرتَ على صُحبَةِ البومِ ولا صَبَر للأخيارِ على صُحبَةِ الأشرار ؟ قالَ الغرابُ : إنَّ ما قُلْتَهُ أيُّها الملِكُ لكذلك . فإنَّه يُقالُ : لَذعُ النارِ أيسَرُ على المَرءِ من صُحبَةِ الأشرارِ والإقامَةِ مَعَهُمْ . ولكنَّ العاقِلَ إذا أتاهُ الأمرُ الفَظيعُ العَظيمُ الذي يَخافُ من عَدَمِ تَحَمُّلِهِ الجائِحَةَ [١١٨] على نفسِهِ وقَومِهِ لم يَجزَعْ من شِدَّةِ الصبَّرِ عليه لِمَا يَرجو من أن يُعقِبَهُ صَبْرُهُ حُسنَ العاقِبَةِ وكثيرَ الخيرِ ، فلم يَجِدْ لذلك أَلَمًا ولم تَكرَهْ نفسُهُ الخُضوعَ لِمَن هو دونَهُ حتى يَبلُغَ حاجَتَهُ فيغتَبِطَ بخاتِمَةِ أمرِهِ وعاقبَةِ صَبْرِ .

(. . .)

قالَ المِلكُ : لقد احتَمَلتَ مَشَقَّةً شديدةً في تَصنُّعِكَ للبومِ وتَضرُّعِكَ إليهنَّ . قالَ الغرابُ : إنَّه مَنِ احتَمَلَ مَشَقَّةً يَرجو نَفعَها ونَحَّى عن نفسِهِ الأَنَفَةَ والحَمِيَّةَ ووَطَّنَها على الصبَّرِ حَمِدَ غبَّ [١١٩] رأيِهِ . وإنَّه يُقالُ : لو أنَّ رجلاً حَمَلَ عَدُوَّهُ على عُنُقِهِ وهو يَرجو هلاكَهُ وراحتَهُ منه لكانَ ذلك عندَهُ خَفيفًا هَيِّنًا كما صَبَرَ الأسودُ على حَملِ مِلكِ الضَّفادِعِ على ظَهرِهِ وشَبِعَ بذلك وعاشَ . قالَ المِلكُ : وكيف كانَ ذلكَ ؟ .

---

(١١٨) الجائحة : المصيبة العظيمة .

(١١٩) غِبّ : عاقبة .

مثل الأسود وملك الضفادع

قالَ الغرابُ : زَعَموا أنَّ أسوَدَ مِنَ الحيَّاتِ كَبِرَ وضَعُفَ بَصَرُهُ وذَهَبَتَ قُوَّتُهُ فلم يَستَطِعْ صَيدًا ولم يَقدِرْ على طَعامٍ . وإنَّه انسابَ يَلتَمِسُ شيئًا يَعيشُ به حتى انتَهى إلى عَينٍ كثيرَةِ الضَّفادِعِ قد كانَ يأتيها قَبلَ ذلك فَيُصيبُ من ضفَادِعِها رِزقَهُ . فَرَمى نفسَهُ قريبًا منهُنَّ مُظهِرًا للكآبَةِ والحـزْنِ . فقالَ له أحدُها : ما لي أراكَ أيُّها الأسوَدُ كئيباً حَزيناً؟ قالَ : ومَن أحرى بطولِ الحُزنِ منّي؟ وإنما كانَ أكثَرُ مَعيشَتي ممَّا كنتُ أُصيبُ مِنَ الضَّفادِعِ فابتُليتُ ببَلاءٍ حَرُمَتْ عليَّ الضفَّادِعُ من أجلِهِ حتى إني إذا التَقَيتُ ببعضها لا أقدِرُ على إمساكِهِ .

فانطلَقَ الضِّفدعُ إلى مَلِكِ الضَّفادِعِ فبَشَّرَهُ بما سَمِعَ مِنَ الأسَودِ. فأتى مَلِكُ الضَّفادِعِ إلى الأسوَدِ فقالَ له : كيف كان أمرُكَ ؟ قالَ : سَعَيتُ منذ أيامٍ في طَلَبِ ضِفدع وذلك عند المساءِ فاضطَرَرتُهُ إلى بيت ناسِك ودَخَلتُ في أثَرِهِ في الظُّلمَةِ ، وفي البيتِ ابنٌ للنَّاسِكِ، فأصَبْتُ

إصبَعَهُ فظَنَنْتُ أنّها الضِّفدعُ فلَدَغتُهُ فماتَ . فخرَجتُ هارِباً . فتبِعَني النَّاسِكُ في أثَري ودَعا عليَّ ولَعَنَني وقالَ : كما قَتَلتَ ابنِي البَريء ظُلْماً وتَعَدِّيًا أدعو عليكَ أن تَذِلَّ وتَصيرَ مَرْكَبًا لمِلكِ الضَّفادِعِ فلا تَستطيعَ أخذَها ولا أكلَ شيءٍ منها إلاّ ما يَتَصَدَّقُ به عليك مَلِكُها . فأتَيتُ إليكَ لتَركَبَني مُقرًّا بذلك راضيًا به .

فَرَغِبَ مَلِكُ الضَّفادِعِ في رُكوبِ الأسوَدِ وظَنَّ أنَّ ذلك فَخرٌ له وشَرَفٌ ورِفعَةٌ . فَرَكِبَهُ واستَطابَ ذلك . فقالَ له الأسوَدُ : قد عَلِمتَ أيُّها الملِكُ أني مَحرومٌ فاجعَلْ لي رِزقًا أعيشُ به . قالَ مِلكُ الضَّفادِعِ : لَعَمري لا بُدَّ لك من رِزقٍ يَقوُم بكَ إذا كنتَ مَركَبي . فأمَرَ له بضِفدِعَينِ يُؤْخذانِ في كلِّ يومٍ ويُدفعانِ إليه . فعاشَ بذلكَ ولم يَضُرَّهُ خُضوعُهُ للعَدُوِّ الذَّليلِ بَلِ انتَفَعَ بذلك وصارَ له رِزقًا ومعَيشَةً .

وكذلك كانَ صَبْري على ما صَبَرْتُ عليه التِماساً لهذا النَّفعِ العظَيمِ الذي اجتَمَعَ لنا فيه الأمنُ والظَّفَرُ وهلاكُ العَدُوِّ والرَّاحَةُ منه .

(. . .)

فهذا مَثَلُ أهلِ العَداوَةِ الذينَ لا يَنبغي أن يُغتَرَّ بهم وإن هُم أظهَروا تَوَدُّدًا وتَضَرُّعًا .

باب الجرذ والسِّنَّور

قالَ دَبشَليمُ الملِكُ لبَيْدَبا الفَيلَسوفِ : قد سَمِعتُ هذا المَثَلَ ، فاضرِبْ لي مَثَلَ رجلٍ كَثُرَ أعداؤُهُ وأحدَقوا به من كل جانِبٍ ، فأشرَفَ معهم على الهلاكِ ، التَمَسَ النَّجاةَ والمَخرَجَ بمُوالاةِ [١٢٠] بعضِ أعدائِهِ ومُصالَحتِهِ فسَلِمَ مِنَ الخَوفِ وأمِنَ . ثم وفى لِمَن صالَحَهُ منهم . وأخبِرني عن موَضِعِ الصُّلحِ وكيفَ يَنبَغي أن يكونَ .

قالَ الفَيلَسوفُ : إنَّ المَوَدَّةَ والعَداوَةَ لا تَثْبُتان على حالَةٍ أبدًا . وربما حالَتِ المَوَدَّةُ إلى العَداوَةِ وصارَتِ العَداوَةُ وِلايَةً [١٢١] وصَداقَةً . ولهذا حوادِثُ وعِلَلٌ وتَجارِبُ . وذو الرأيِ يُحدِثُ لكلِّ ما يَحدُثُ من ذلك رأياً جَديدًا . أمَّا من قِبَلِ العَدُوِّ فبالبأسِ وأمَّا من قِبَلِ الصَّديقِ فبالاستئناس . ولا تَمنَعُ ذا العَقلِ عَداوَةٌ كانت في نفسِهِ لعَدُوِّه من مُقارَبَتِهِ والاستِنجادِ به على دَفعِ مَرهوبٍ أو جَرِّ مَرغوبٍ . ومَن عَمِلَ في ذلك بالحَزمِ ظَفِرَ

(١٢٠) موالاة : مصادقة .

(١٢١) ولاية : نصرة.

بحاجتِهِ . ومَثَلُ ذلك مَثَلُ الجُرَذِ والسَّنَّورِ حين وَقَعا في الورطِة فَنَجوا باصطِلاحِهِما جميعاً مِنَ الورطِة والشِّدَّةِ . قالَ الملِكُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟

قالَ بَيْدبَا : زَعَموا أنَّ شجرَةً عَظيمَةً كانَ في أصلها جُحْرُ سنَّورٍ يُقالُ له روميٌّ . وكان قريبًا منه جُحْرُ جُرذٍ يُقالُ له فَريدونُ . وكانَ قريبًا منه جُحْرُ جُرذٍ يُقالُ له فَريدونُ . وكانَ الصَّـيَّـادونَ كثيرًا ما يَتَداولَونَ ذلك المكانَ يَصيدونَ فيه الوَحشَ والطَّيرَ . فأتى ذاتَ يومٍ صَيَّادٌ فَنَصَبَ حِبالَتَهُ قريباً من مَوضِعِ روميٍّ فلم يَلبَثْ أن وَقَعَ فيها . فخَرَجَ الجُرَذُ يَدِبُّ ويَطلُبُ ما يأكُلُ وهو حَذِرٌ من روميٍّ . فبينما هو يَسعى إذ بَصُرَ به في الشَّركِ فَسُرَّ واستَبشَرَ . ثم التَفَتَ فرأى خَلفَهُ ابنَ عِرسٍ يُريدُ أخذَهُ وفي الشَّجَرَة بومًا يُريدُ اختِطافَهُ . فتَحَيَّرَ في أمرِهِ وخافَ ؛ إن رَجَعَ وَراءَهُ أخذَهُ ابنُ عِرسٍ ، وإن ذَهَبَ يَمينًا أو شِمالاً اختطَفَهُ البومُ ، وإن تَقَدَّمَ أمامَهُ افتَرسَهُ السَّنَّورُ .

فقالَ في نفسِهِ : هذا بَلاءٌ قد اكتَنَفَني وشُرورٌ تَظاهَرَتْ (١٢٢) عليَّ ، ومِحَنٌ قد أحاطَتْ بي . وبعد ذلك فمَعي عَقلي فلا يُفزِعُني أمري ولا يَهولُني شأني ولا يَلحَقُني الدَّهَشُ ولا يَذهَبُ قلبي شَعاعًا (١٢٣) .

---

(١٢٢) تظاهرت : تعاونت .

(١٢٣) شعَاعاً : متبدداً من الخوف .

فالعاقِلُ لا يَفرَقُ عند سَدادِ رأيِهِ ولا يَعْـزُبُ [١٢٤] عنه ذِهْـنُـهُ على حالٍ . وإنَّما العَقـلُ شَبيهٌ بالبحرِ الـذي لا يُدرِكُ غورُهُ ، ولا يَبلُغُ البَلاءُ مـن ذي الرأي مَجهودَهُ فيُهلكَهُ . وتَحَقُّقُ الرَّجاء لا يَنبَغي أن يَبْلُغَ منه مَبلَغًا يُبْـطِـرُ ويُسكِرُهُ فَيعمَى عليه أمرُهُ . ولستُ أرى لي من هذا البَلاء مَخلَصًا إلاَّ مُصالَحَةَ السِّنَّورِ ، فإنَّه قد نَزَلَ به مِنَ البَلاءِ مثلُ ما قد نَزَلَ بي أو بَعضُهُ . ولعلَّنا إن سَمِعَ كلامي الذي أُكلِّمُهُ به ووَعي عنّي صحيحَ خطابي ومَحضَ صدقي الذي لا خلافَ فيه ولا خِداعَ معه ففَهِمَهُ وطَمِعَ في مَعونَتي إيَّاهُ نُخلُصُ جميعًا .

ثم إنَّ الجُرَذَ دَنا مِنَ السِّنَّورِ فقالَ له : كيفَ حالُكَ ؟ قالَ له السِّنَّورُ : كما تُحِبُّ في ضَنكٍ وضيقٍ . قالَ : وأنا اليومَ شريكُكَ في البَلاءِ . ولستُ أرجو لنفسي خَلاصاً إلاَّ بالذي أرجو لكَ فيه الخَلاصَ . وكلامي هذا ليس فيه كَذِبٌ ولا خديعَةٌ . وابنُ عِرسٍ ها هو كامِنٌ لي ، والبومُ يَرصُدُني ، وكِلاهُما لي ولك عَدُوٌّ . وإني وإيَّاكَ وإن كنَّا مُختَلفي الطِّباعِ لكنَّنا مُتَّفقا الحالَةِ . والذينَ حالَتُهُمْ واحدةٌ وطباعُهُمْ مختلِفَةٌ تجمعُهُمْ الحالةُ وإن فرَّقَتهُمُ الطِّباعُ . فإن أنتَ جَعَلتَ لِيَ الأمانَ قَطَّعتُ حبائِلَكَ وخَلَّصتُكَ من هذه الورطَةِ . فإن كانَ ذلكَ تَخَلَّصَ كلُّ واحدٍ منَّا بسبَبِ

---

(١٢٤) لا يعزُب : أي لا يغيب .

صاحِبِهِ ، كالسَّفينَة والرُّكَّابِ في البحر فبالسَّفينَة ينَجون وبهم تَنجو السَّفينَةُ .

فلمَّا سَمِعَ السِّنَّورُ كلامِ الجُرَذِ وعَرَفَ أنَّه صادِقٌ قالَ له : إنَّ قَولَكَ هذا لشبيهٌ بالحَقِّ ، وأنا أيضًا راغِبٌ فيما أرجو لك ولنفسي به الخَلاصَ . ثم إني إن فَعَلتَ ذلك سأشكُرُكَ ما بَقيتُ .

قالَ الجُرَذُ : فإني سأدنو منكَ فأقطَعُ الحبَائِلَ كلَّها إلاَّ حَبلاً واحدًا أُبقيهِ لأستَوثِقَ لنفسي منكَ . وأخذَ في تَقريضِ حَبائِلِهِ . ثم إنَّ البومَ وابنَ عِرسٍ لمَّا رأيا دُنُوَّ الجُرَذِ مِنَ السِّنَّورِ أيِسا منه وانصَرَفا .

ثم إنَّ الجُرَذَ أبطَـأَ على روميٍّ في قَطِعِ الحَبائِلِ فقالَ له : ما لي لا أراك جادًا في قَطعِ حبَائلي ؟ فإن كنت قد ظَفِرتَ بحاجَتِكَ فَتغيَّـرتَ عمَّا كنتَ عليه وتَوانَيتَ في حاجَتي فما ذلك من فِعْلِ الصَّالِحين . فإنَّ الكريـمَ لا يَتَوانى في حَقِّ صاحِبِهِ ، وقد كانَ لك في سابِقِ مَوَدَّتي مِنَ الفائِدَة والنَّفعِ ما قد رأيتَ . وأنتَ حَقيقٌ أن تُكافِئني بذلك ولا تَذكُرَ العَداوَةَ التي بيني وبينكَ . فالذي بيني وبينك مِنَ الصُّلحِ حَقيقٌ أن يُنسِيَكَ ذلك معَ ما في الوفَاءِ مِنَ الفَضلِ والأجرِ وما في الغَدرِ من سوء العاقِبَةِ . فإنَّ الكريـمَ لا يكونُ إلاَّ شَكورًا غيرَ حَقودٍ تُنسيهِ الخَلَّةُ الواحِدَةُ مِنَ الإحسانِ الخِلالَ الكَثيرَةَ مِنَ الإساءِة . وقد يُقالُ : إنَّ أعجَلَ العُقوبَةِ عُقوبَةُ الغَدرِ . ومَن إذا تُضُرِّعَ إليه وسُئِلَ العَفوَ فلم يَرحَمْ ولم يَعفُ فقد غدَرَ .

قالَ الجُرَذُ : إنَّ الصَّديقَ صديقانِ ، طائعٌ ومُضطَرٌّ، وكِلاهُما يَلتَمِسانِ المَنفَعَةَ ويحترِسانِ مِنَ المَضَرَّةِ . فأمَّا الطَّائِعُ فَيَستَرسَلُ إليه ويُؤمَنُ في جميعِ الأحوالِ . وأمَّا المُضطَرُّ ففي بعضِ الأحوالِ يُستَرسَلُ إليه وفي بعضها يُتَحَذَّرُ منه . ولا يَزالُ العاقلُ يَرتَهِنُ منه بعضَ حاجاته لبعض ما يَتَّقي ويَخافُ. وليسَ غايَةُ التَّواصُلِ من كلٍّ مِنَ المُتَواصِلَينِ إلاَّ طَلَبَ عاجِلِ النَّفعِ وبُلوغَ مأمولِهِ . وأنا وافٍ لك بما وَعَدتُّكَ ومُحتَرِسٌ منكَ معَ ذلكَ من حيثُ أخافُكَ تَخَوُّفَ أن يُصيبَني منكَ ما ألجَأني خَوفُهُ إلى مُصالحَتِكَ وألجأكَ إلى قُبولِ ذلك منّي . فإنَّ لكلِّ عَمَلٍ حينًا . فما لم يَكُن منه في حينِه فلا حُسنَ لعاقِبَتِهِ . وأنا قاطعٌ حبائِلَكَ كلَّها ، غيرَ أني تارِكٌ عُقدَةً أرتَهِنُكَ بها ولا أقطَعُها إلاَّ في السَّاعَةِ التي أعلَمُ أنَّكَ فيها عنّي مَشغولٌ وذلك عند مُعايَنَتي الصَّيَّادَ .

ثم إنَّ الجُرَذَ أخَذَ في قَطعِ حبائِلِ السِّنَّورِ . فبينما هو كذلك إذ وافى الصَّيَّادُ . فقالَ له السِّنَّورُ : الآنَ جاءَ وقتُ الجِدِّ في قَطعِ حبائلي . فجَهَدَ الجُرَذُ نفسَهُ في القَرضِ ، حتى إذا فَرَغَ وَثَبَ السِّنَّورُ إلى الشَّجَرَةِ على دَهَشٍ مِنَ الصَّيَّادِ، ودَخَلَ الجُرَذُ بعضَ الأحجارِ ، وجاءَ الصَّيَّاد فأخَذَ حبائِلَهُ مُقَطَّعَةً ثم انصَرَفَ خائِبًا .

ثم إنَّ الجُرَذَ خَرَجَ بعد ذلك وكَرِهَ أن يَدنُوَ مِنَ السِّنَّورِ ، فناداهُ السِّنَّورُ: أيُّها الصَّديقُ النَّاصِحُ ذو البَلاءِ (١٢٥) الحَسَنِ عندي، ما مَنَعَكَ

(١٢٥) البلاء : الصنيع .

مِنَ الدُّنُوِّ إليَّ لأُجازِيَكَ بأحسَنِ ما أسدَيتَ إليَّ ؟ هَلُمَّ إليَّ ولا تَقطَعْ إخائي، فإنَّه مِنَ اتَّخَذَ صديقًا وقَطَعَ إخاءَهُ وأضاعَ صداقتَهُ حُرِمَ ثَمَرَةَ إخائِهِ وأيسَ من نَفعِهِ الإخوانُ والأصدقاءُ . وإنَّ يَدَكَ عندي لا تُنسى ، وأنتَ حَقيقٌ أن تَلتَمِس مُكافَأةَ ذلك منّي ومن إخواني وأصدقائي ولا تَخافَ منّي شيئًا . واعلَمْ أنَّ ما قِبَلي لك مَبذولٌ . ثم حَلَفَ واجتَهَدَ على صديقِهِ فيما قالَ .

فناداهُ الجُرَذُ : رُبَّ صداقَةٍ ظاهِرَةٍ باطِنُها عَدوَاةٌ كامِنَةٌ وهي أشَدُّ مِنَ العَداوَةِ الظَّاهِرَةِ . ومَن لم يَحتَرِسْ منها وَقَعَ مَوقِعَ الرَّجلِ الذي يَركَبُ نابَ الفيلِ الهائجِ ثم يَغلُبُه النُّعاسُ فيَستَيقِظُ تحت فَراسِنِ (١٢٦) الفيلِ فيَدوسُهُ ويَقتُلُهُ .

وإنَّما سُمِّيَ الصَّديقُ صديقًا لِما يُرجى من صِدقِهِ ونَفعِهِ . وسُمِّيَ العَدُوُّ عَدُوًّا لِما يُخافُ مِنَ اعتِدائِه وضَرَرِهِ . والعاقِلُ إذا رَجا نَفعَ العَدُوِّ أظهَرَ له الصَّداقَةَ ، وإذا خافَ ضَرَّ الصَّديقِ أظهَرَ له العَداوَةَ . ألا تَرى تَتَبُّعَ البَهائِمِ أُمَّاتِها رَجاءَ ألبانِها فإذا انقَطَعَ ذلك انصرَفَتْ عنها ؟ وربما قَطَعَ الصَّديقُ عن صَديقِهِ بعضَ ما كانَ يَصِلُهُ منه فلم يَخَفْ شَرَّهُ لأنَّ أصلَ أمرِهِ لم يَكُن عَداوَةً . فأمَّا مَن كانَ أصلُ أمرِهِ عَداوَةً جَوهَرِيَّةً ثم أحدَثَ صداقَةً لحاجَةٍ حَمَلَتْه على ذلك فإنَّه إذا زالَتِ الحاجَةُ التي حَمَلَتهُ

---

(١٢٦) فَراسِن : جمع فرسن وهو للفيل كالقدم للإنسان

على ذلك زالَتْ صداقَتُهُ فَتحَوَّلَتْ وصارَتْ إلى أصل أمرِهِ . كالماءِ الذي يَسخُنُ بالنَّارِ فإذا رُفِعَ عنها عادَ بارِدًا . وليسَ من أعدائي عَدُوٌّ أضَرَّ لي منك ، وقد اضطَرَّني وإيَّاكَ حاجَةٌ إلى ما أحدَثنا مِنَ المُصالَحَةِ . وقد ذَهَبَ الأمرُ الذي احتَجتَ إليَّ واحتَجتُ إليك فيه . وأخافُ أن يكونَ مع ذَهابِهِ عَودُ العَداوَةِ .

ولا خَيرَ للضَّعيفِ في قُربِ العَدُوِّ القَوِيِّ ، ولا للذَّليلِ في قُربِ العَدُوِّ العَزيزِ . ولا أعلَمُ لكَ قِبَلي حاجَةً إلاَّ أن تكونَ تُريدُ أكلي . ولا أعلَمُ لي قِبلَكَ حاجَةً وليس عندي بك ثقَةٌ . فإني قد عَلِمتُ أنَّ الضَّعيفَ المُحتَرِسَ مِنَ العَدُوِّ القَوِيِّ أقرَبُ إلى السَّلامَةِ مِنَ القَوِيِّ إذا اغتَرَّ بالضَّعيفِ واستَرسَلَ إليه . والعاقِلُ يُصالِحُ عَدُوَّهُ إذا اضطُرَّ إليه ويُصانِعُهُ (١٢٧) ويُظهِرُ له وُدَّهُ ويُريه من نفسِهِ الاستِرسالَ إليه إذا لم يَجِدْ من ذلك بُدًا . ثم يُعَجِّلُ الانصرافَ عنه حينَ يَجِدُ إلى ذلك سبيلاً .

واعلَمْ أنَّ سَريعَ الاستِرسالِ لا تُقالُ عَثرَتُهُ . والعاقِلُ يَفي لِمَن صالَحَهُ من أعدائِهِ بما جَعَلَ له من نفسِهِ ولا يَثِقُ به كلَّ الثِّقَةِ ولا يأمَنُهُ على نفسِهِ معَ القُربِ منه وينبغي أن يُبعِدَ عنه ما استَطاعَ . وأنا أوَدُّكَ من بَعيدٍ وأُحِبُّ لك مِنَ البَقاءِ والسَّلامَةِ ما لم أكُن أُحِبُّهُ لك من قَبلُ . وليس عليكَ أن تُجازِيَني على صَنيعي إلاَّ بمثلِ ذلك إذ لا سبيل إلى اجتماعِنا ، والسَّلامُ .

---

(١٢٧) يصانعه : يداريه ويداهنه .

باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين وهو آخر الكتاب

قالَ دَبشَليمُ المِلكُ لبَيْدَبا الفَيلَسوفِ :قد سَمِعتُ هذا المَثَلَ ، فاضرِبْ لي مَثَلاً في شأنِ الرَّجلِ الذي يَرى الرأيَ لغيرِهِ ولا يَراهُ لنفسِهِ .

قالَ الفَيلَسوفُ : إنَّ مَثَلَ ذلك مَثَلُ الحمامَةِ والثَّعلَبِ ومالِكِ الحَزينِ .

قالَ المِلكُ : وما مَثَلُهُنَّ ؟

قالَ الفَيلَسوفُ : زَعَموا أنَّ حَمامَةً كانت تُفرِخُ في رأسِ نَخلَةٍ طويلَةٍ ذاهِبَةٍ في السَّماءِ . فكانتِ الحمامَةُ إذا شَرَعَتَ في نَقلِ العُشِّ إلى رأسِ تلك النَّخلَةِ لا يمكنُها ذلك إلاَّ بعدَ شدَّةٍ وتعبٍ ومشقةٍ لطولِ النَّخلةِ وسُمقِها. وكانت إذا فَرَغَتْ مِنَ النَّقلِ باضَتْ ثم حَضَنَتْ بَيضَها ، فإذا انقاض[١٢٨] وأدرَكَ فِراخُها جاءَها ثَعلَبٌ قد تَعَهَّدَ ذلك منها لوقتٍ قد عَلِمَهُ رَيثَما يَنهَضُ فِراخُها ، فَوقَفَ بأصلِ النَّخلَةِ فصاحَ بها وتَوَعَّدَها أن يَرقى إليها أو تَلقِيَ إليه فِراخَها فتُلقيها إليه .

---

(١٢٨) انقاض : انكسر وخرج منه الفرخ .

فبينما هي ذاتَ يومٍ وقد أدركَ لها فَرخانِ إذ أقبلَ مالكٌ الحَزينُ فَوقَعَ على النَّخلَةِ . فلمَّا رأى الحمامَةَ كئيبَةً حزينةً شديدَةَ الهَمِّ قالَ لها : يا حمامَةُ ما لي أراكِ كاسفَةَ البالِ سَيئَةَ الحالِ ؟

فقالت له : يا مالكُ الحَزينُ إنَّ ثَعلبًا دُهيتُ به كلَّما كانَ لي فَرخانِ جاءَني يَتَهَدَّدُني ويَصيحُ في أصلِ النَّخلَةِ فأفرَقُ منه فأطرَحُ إليه فَرخَيَّ .

قالَ لها مالِكٌ الحَزينُ : إذا أتاكِ ليَفعَلَ ما تَقولينَ فقولي له : لا أُلقي إليك فَرخَيَّ فارقَ [١٢٩] إليَّ وغرِّرْ بنفسكَ . فإذا فَعَلتَ ذلك وأكلتَ فَرخَيَّ طِرتُ عنكَ ونَجَوتُ بنفسي .

فلمَّا عَلَّمَها مالكٌ الحَزينُ هذه الحيلَةَ طارَ فوَقَعَ على شاطىء نَهرٍ . وأقبلَ الثَّعلَبُ في الوقتِ الذي عَرَفَ ، فوَقَفَ تحت النَّخلَةِ ثم صاحَ كما كانَ يَفعَلُ ، فأجابَتهُ الحمامَةُ بما عَلَّمَها مالِكٌ الحَزينُ ، فقالَ لها : أخبِريني مَن عَلَّمَكِ هذا ؟

قالت : عَلَّمَني مالِكٌ الحَزينُ .

فَتَوجَّهَ الثَّعلَبُ حتى أتى مالِكاً الحَزينَ على شاطِىءِ النَّهرِ فَوجَدَهُ واقِفًا . فقالَ له الثَّعلَبُ : يا مالِكُ الحَزينُ إذا أتَتكَ الرّيحُ عن يَمينِكَ فأينَ تَجعَلُ رأسَكَ ؟ قالَ : عن شِمالي . قالَ : فإذا أتتكَ عن شِمالِك أينَ

---

(١٢٩) فارقَ : فاصعدَ .

تَجعلُ رأسَكَ ؟ قالَ : أجعَلُهُ عن يَميني أو خَلفي . قالَ : فإذا أتَتكَ الرّيحُ من كلِّ مكانٍ وكلِّ ناحيـةٍ أينَ تَجعَـلُـهُ ؟ قالَ : أجعَلُهُ تحت جَناحَيَّ. قالَ : وكيفَ تَستَطيعُ أن تَجعَلَهُ تحت جَناحَيكَ ؟ ما أراهُ يَتَهيَّأُ لك . قالَ : بلى . قالَ : فأرِني كيفَ تَصنَعُ فلَعَمري يا مَعشَرَ الطَّيرِ لقد فَضَّلَكُمُ اللهُ علينا . إنكُنَّ تَدرينَ في ساعَةٍ واحدةٍ مثلَ ما نَدري في سَنَةٍ . وتَبلُغنَ مالا نَبلُغُ وتُدخِلنَ رؤوسَكُنَّ تحتَ أجنحتكُنَّ مِنَ البَردِ والرّيحِ . فَهنيئًا لَكُنَّ . فأرِني كيفَ تَصنَعُ .

فأدخلَ الطَّائرُ رأسَهُ تحت جناحَيهِ . فَوثَبَ عليه الثَّعلَبُ مكانَهُ فأخَذَهُ فهَمَزَهُ[130] هَمزَةً دَقَّ بها عُنُقَهُ . ثم قالَ : يا عَدُوَّ نفسِهِ تَرى الرأيَ للحمامة وتُعَلِّمُها الحيلَةَ لنفسها وتَعجزُ عن ذلك لنفسكَ حتى يَتمكَّنَ منكَ عَدُوُّكَ ! ثم قَتَلَهُ وأكَلَهُ . ألهَمَنا اللهُ أن نكونَ منَ المُؤتَمِرينَ لِما يأمُرونَ والمُتَنَصحينَ بما يَنصَحونَ .

فلمّا انتهى المَنطِقُ بالفَيلَسوفِ إلى هذا المَوضِعِ سَكَتَ الملكُ . فقالَ له الفَيلَسوفُ : أيُّها الملِكُ ، عِشتَ ألفَ سَنَةٍ ومُلِّكتَ الأقاليم السَّبعَةَ وأُعطيتَ من كلِّ شيءٍ حَظًّا وبَلَغتَ ما أمَّلتَهُ من خيرِ الدنيا والآخرَةِ في سُرورٍ منك وقـرَّةِ عينٍ من رعيَّتِكَ بك ومساعَدَةِ القضاء والقَدَرِ لكَ .

---

(١٣٠) هَـمَـزَهُ : ضغطه وعضه .

فإنَّه قد كَمَلَ فيكَ الحِلمُ والعِلمُ وحَسُنَ منكَ العَقلُ والنِّيَّةُ وتمَّ فيكَ البأسُ والجُودُ واتَّفقَ منك القَولُ والعَمَلُ . فلا يوجَدُ في رأيكَ نَقصٌ ولا في قَولِكَ سَقَطٌ ولا عَيبٌ . وقد جَمَعتَ النَّجدَةَ [١٣١] واللِّينَ فلا تُوجَدُ جَباناً عندَ اللِّقاءِ ولا ضَيِّقَ الصَّدرِ عندَما يَنوبُكَ مِنَ الأشياء .

وقد جَمَعتُ لكَ فى هذا الكِتابِ شَملَ بَيانِ الأمورِ وشَرَحتُ لكَ جوابَ ما سألتَني عنه منها ، تَزَلُّفًا إلى رِضاكَ وابتِغاءَ لطاعَتِكَ ، فأبلَغتُكَ في ذلك غايَةَ نُصحي واجتَهَدتُ فيه برأيي ونَظَري ومَبلَغِ فطنَتي. واللهُ تَعالى يَقضي حَقّي بحُسن النِّيَّةِ منكَ في إعمالِ فكرِكَ وعَقلِكَ فيما وَضَعتُ لكَ مِنَ النَّصيحَةِ والمَوعِظَة. معَ أنَّه ليسَ المَنصوحُ بأولى بالنَّصيحَةِ منَ النَّاصحِ ، ولا الآمِرُ بالخيرِ بأسعَدَ مِنَ المُطيعِ له فيه . فافهَمْ ذلك أيُّها المِلكُ ، ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله العَلِيِّ العَظيمِ .

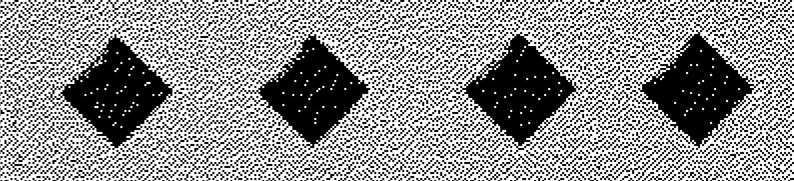
رقم الإيداع ٢٠٠١ / ١٣٣٧٣

I.S.B.N 977-01-7414-9

---

(١٣١) النجدة : الشجاعة والشدة .





بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى اهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٥٠ قرش

